الطبعة الثانية





التشيع والغلو



الشيخ
جميل مال الله الربيعي

التشيع والغلو

التشيع والغلو

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

جميع حقوق النشر محفوظة ومسجلة للناشر ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة طبع أو ترجمة أو نسخ الكتاب أو أي جزء منه إلا بترخيص خطي من الناشر تحت طائلة الشرع والقانون

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون: ٠٠٩٦١ ٣ ٤٦١٥٩٥
بيروت - لبنان ٠٠٩٦١ ١ ٤٧٢١٩٢
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

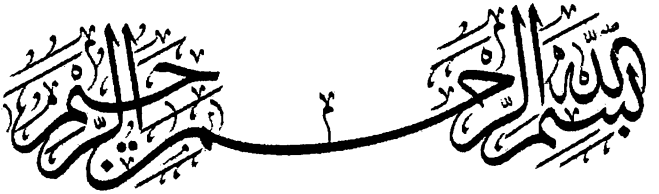
التشيع والغلو

الشيخ جميل مال الله الربيعي

١٤٢٨ هـ . ق



دار السلام
بيروت - لبنان



اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّنِ اعْتَقَدَ (فيهم) فِيهِمَا اللاهُوتَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا الطَّاغُوتَ اللَّهُمَّ الْعَنِ النَّاصِبَةَ الْجَاحِدِينَ وَالْمُسْرِفِينَ الْغَالِينَ وَالشَّاكِّينَ الْمُقَصِّرِينَ وَالْجَهَلَةَ الْمُفَوِّضِين ...

من زيارة الإمامين العسكريين عليهما السلام

من كتاب المزار لمحمد بن المشهدي ص ٦٥٦

المقدمة:

إن من أهم المهمات الملقاة على أبناء الإسلام إظهار حقائقه عقيدة ونظاماً، وعلى مختلف الأصعدة: العلمية، والفكرية، والأخلاقية، والسياسية... وتنزيهه عن كل ما علق ويعلق به من شوائب دسها واضعوا الأساطير من اليهود الذين اندسوا؛ لتشويه حقائقه ومن خَدَمَةِ الطغاة من النفعيين والمصلحيين الذين باعوا ضمائرهم للشيطان، وسخّروا أقلامهم لخدمة السلطان؛ ليحلوا لهم الحرام، ويبرروا لهم جرائمهم، ويُلبسوها ثوباً شرعياً؛ ولهذا من الأمور الأساسية لزوم تميزه وتنزيهه عن التقاليد، والأعراف والعادات الاجتماعية المختلفة - حسب ما تعارف عليه كل مجتمع - والتي نسبت إلى الإسلام وهو منها براء وأطّرت بإطار ديني كذباً وزوراً، حتى عادت كأنها جزء من عقائده، وأحكامه،

وأخلاقه، يحسبها المراقب لحركة الإسلام غير المطلع على حقائقه أنها منه؛ ولذا فقد رأينا، ونرى اليوم بعد انتشار وسائل الإعلام في كل أنحاء العالم كيف يُطعن الإسلام من خلال تلك العادات التي تمارسها بعض الشعوب في مناسبات دينية معروفة.

كما إننا رأينا كيف اتخذ أعداء أهل البيت أحاديث الغلاة وأساطيرهم التي دسوها في كتب المذهب الحق وسيلة للتشهير والتوهين والتشويه لمنهج آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم مع أن علماءنا الأبرار من المتقدمين والمعاصرين قد بذلوا قصارى جهدهم في بيان عدم صحة ما نسب إلى أهل البيت عليهم السلام مما يخالف كتاب الله وسنة نبيه، وفق الميزان الذي وضعه أهل بيت العصمة والطهارة «ما خالف كتاب الله يضرب به عرض الحائط، وأنه زخرف»[1].

وخلاصة الكلام إن تخليص الإسلام من الخرافات والأساطير الإسرائيلية والموضوعات الأموية مسؤولية كل مؤمن برسالة الله سبحانه وتعالى؛ ليعود الإسلام إلى أصالته ونقائه وسلامة عقيدته

(١) المحقق البحراني، الحدائق الناضرة ٤: ٢٨١.

وأحكامه كما أنزلها الله تعالى؛ لأن من أخطر ما يوهن العقيدة الإسلامية في نفوس الناس، ويضعف التمسك بها هو نشر الخرافات والأساطير، والأكاذيب التي نُسبت إلى رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وإلباسها ثوب التقديس، وإظهارها بمظهر الإيمان؛ ولذا ينبغي أن تتظافر جهود كل الواعين لرسالة الله تعالى، لنشر الإسلام المحمدي الأصيل، ونبذ ما سواه وإن تَسمى باسمه.

ومن الأساليب التي اتبعها الغلاة أنهم روجوا فكرة محبة أهل البيت بطريقتهم المسمومة، وهي أن الإنسان إذا أحب محمداً وأهل بيته فقد أحرز الأمن والأمان من عقاب الله تعالى حتى لو عمل كل الجرائم، وخالف كل الأحكام؛ وذلك لأن المحب لهم من أهل الجنة مهما عمل في الدنيا وارتكب من الآثام، وهذه الفكرة تميل لها النفس الأمارة بالسوء وتركن إليها؛ لأنها توافق الأهواء والشهوات حتى قيل: لو أن أحداً ارتكب إثم الإنس والجن وأحرز محبة أهل البيت، وبكى على سيد الشهداء الحسين عليه السلام فإنه لا حساب له، ولا عقاب عليه يوم القيامة، ولا شك ولا ريب بمخالفة ذلك لكتاب الله، وسنة رسوله وأهل بيته صلوات الله عليهم

أجمعين، وطالما صرحوا بذلك في أحاديث صحيحة كثيرة نذكر منها:

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام فما زال حبكم لنا حتى صار شيناً علينا»[١].

وفي نص آخر: «أحبونا حب الإسلام فوالله ما زال تقولون فينا حتى بغضتمونا إلى الناس»[٢]

وعن محمد بن أبي عمير قال: حدثني من سمع أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ما أحب الله عز وجل من عصاه». ثم تمثل فقال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع[٣]

ومن هنا يتضح أن حب أهل البيت عليهم السلام ليس مجرد عواطف نفسية وعلاقات مصلحية، وإنما هو دين نتعبد به لله تبارك وتعالى، ورابطة مقدسة نابعة عن وعي إيماني عميق يبتني على أسس

---

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد: ٢٥٥، والفتال النيسابوري في روضة الواعظين: ١٩٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢١٤/٥.

(٣) الشيخ الطوسي، الأمالي: ٥٧٨.

عقائدية متينة تربطنا بالله، وتعمق فينا روح الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، وهذا الولاء يستبطن المسؤولية «ويستقطب حركة الموالي وقدراته وإمكاناته ومواهبه وميوله حول محور واحد» وبذلك يصبح عنوان شخصية المؤمن وهويته ويمنحه قيمته الحقيقية في خلافة الله تعالى وهذا ما أكده أهل بيت العصمة عليهم السلام فعن ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران، عن سعيد بن يسار قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: هل الدين إلا الحب؟ إن الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١) »[١].

فالحب إذن في منطق أهل البيت يستلزم الالتزام والطاعة لأنه يستبطن المسؤولية. قال النبي صلى الله عليه وآله: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[٢]. هذا هو الحق والحقيقة فأين هذا مما روج الغلاة من أن حب أهل البيت عليهم السلام يكفي عن العمل. وما أحسن ما قاله شيخنا العلامة ابن شهاب الدين في قصيدة له

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ٢١.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٧: ٧٩.

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

هو الحب صدقاً لا الغلو الذي ... به يفوه معاذ الله بعض طغامها
ولا كاذب الحب ادعته طوائف ... تشيب قلاها بانتحال وئامها
تخال الهدى والحق فيما تأولت ... غروراً وترميني سقاها بذامها
وتبزني بالرفض والزيغ أن صبا ... إليك فؤادي في غضون كلامها
تلوم ويأبى الله والدين والحجى ... وحرمة آبائي استماع ملامها
فإني على علم وصدق بصيرة ... من الأمر لم أنقد غير زمامها[1]

وهذه دراسة مختصرة لبعض سمات الشيعة كما قررها أئمة الهدى عليهم السلام مقرونة بدراسة عن الغلو والغلاة، ومن خلال هذه الدراسة المختصرة استطعنا أن نثبت بعون الله تعالى أن التشيع والغلو نقيضان لا يلتقيان بحال أبداً، وأن ما ألصق بالتشيع من أساطير وأباطيل الغلاة ظلم وتجاوز للحقيقة، وستجد عزيزي القارئ ذلك في طيات هذا البحث إن شاء الله تعالى.

ومن الله نستمد العون والتوفيق.

المؤلف / ٧ ربيع الثاني سنة ١٤٢٣ هـ

---

(١) محمد بن عقيل، تقوية الإيمان: ٥٤.

الفصل الأول :

سيماء الشيعة

الشيعة لغة واصطلاحاً:

أما لغة: فهم أتباع الرجل، وأنصاره الذين اجتمعوا على أمر واحد، ويتبع بعضهم بعضاً في الرأي والهوى والاتجاه، أو في العقيدة، والهدف، والنصرة، والحب، والولاء.

قال ابن منظور: «والشيعة: القوم الذين يجتمعون على الأمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض، فهم شيعٌ».

وقال الأزهري: «ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً، وليس كلهم متفقين».

وقال الزجاج: «والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع

وأشياعٌ جمع الجمع»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ (الصافات: ٨٣) قيل: «أي وإن من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق»[٢] رغم الفاصلة الزمنية بينهما والتي قدَّرَها بعض المفسرين بـ(٢٦٠٠) سنة؛ لأن إبراهيم عليه السلام شايع نوحاً في الدعوة إلى التوحيد، والاستقامة على خطه بصبر ومثابرة.

وأما اصطلاحاً: فكل من نهج منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام في الإيمان برسالة الله تعالى، ووعيها وحملها، وتبليغها وتجسيدها بالقول والفعل فهو من شيعته، قال الأزهري: «الشيعة قوم يَهْوَوْنَ هوى عترة النبي صلى الله عليه وآله، ويوالونهم»[٣]، كما دلت على ذلك أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن شيعتنا من شَيّعنا، واتّبع آثارنا، واقتدى بأعمالنا»[٤].

(١) ابن منظور، لسان العرب ٨: ١٨٨.

(٢) الطريحي، مجمع البحرين ٤: ٣٥٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب ٨: ١٨٩.

(٤) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٤.

وقال الإمام الحسن عليه السلام: «إن شيعتنا هم الذين يتبعون آثارنا، ويطيعونا في جميع أوامرنا ونواهينا، فأولئك شيعتنا، فأما من خالفنا في كثير مما فرضه الله عليه فليسوا من شيعتنا»[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه، واتبع آثارنا، وعمل بأعمالنا، أولئك شيعتنا»[٢].

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «شيعتنا المُسَلِّمون لأمرنا الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا»[٣].

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن شيعتهم فقال: «شيعتنا من قدَّم ما أستحسن، وأمسك ما استقبح، وأظهر الجميل، وسارع بالأمر الجليل، رغبة إلى رحمة الجليل فذلك منّا وإلينا، ومعنا حيث كنّا»[٤].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٧.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٩.

وقد عرف بهذا الاسم الذين ثبتوا على نهج الرسالة الإسلامية في نصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الانحراف في المسيرة الإسلامية بعد رحلة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كسلمان المحمدي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد الكندي، وعمار بن ياسر رضوان الله عليهم، يقول أبو حاتم السجستاني: «إن لفظ الشيعة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لقب أربعة من الصحابة: سلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار»[١].

وذكر أبو حاتم السجستاني في كتاب الزينة، قال: «إن الشيعة لقب قوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وعُرفوا به مثل: سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر وغيرهم ... كان يقال لهم شيعة علي وأصحاب علي، وقال فيهم رسول: «اشتاقت الجنة إلى أربعة : علي، وعمار، وسلمان، وبلال»[٢] ثم

---

(١) السيد محسن الأمين، نقض الوشيعة (أو الشيعة بين الحقائق والأوهام): ٤٨.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٠: ١٠٤.

لزم هذا اللقب كل من قال بتفضيله بعده إلى يومنا هذا»[١].

وقد جاء اسم التشيع صريحاً على لسان رسول الله ﷺ كما روى ذلك الشيعة والسنة، وليس كما زعم بعض أعداء أهل البيت عليهم السلام أن هذا الاسم ظهر بعد وفاة النبي ﷺ، بل افترى بعضهم ونسبه زوراً وبهتاناً إلى شخصية وهمية مزعومة لا وجود لها في التاريخ أسموها عبد الله بن سبأ[٢]، وإن هذا الشخص اليهودي الذي تلبس بثوب الإسلام هو الذي بذر بذرة التشيع وروجها ونماها، ولكن الحقيقة التي لا يشوبها شك أن رسول الله ﷺ هو الذي غرس شجرة التشيع، وسقاها بجهده وجهاده ودماء أهل بيته وأصحابه ودليل ذلك: الأحاديث الكثيرة المتواترة التي رواها أئمة الحديث من أهل السنة، ونحن نذكر منها:

١- أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «أنت وشيعتك تردون عليَّ الحوض رواة مرويين مبيضة وجوهكم، وإن عدوك يردون

---

(١) أبي حاتم السجستاني، كتاب الزينة ملحق في كتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الله سلوم السامرائي: ٢٥٩.

(٢) يراجع كتاب عبد الله بن سبأ للعلامة السيد مرتضى العسكري قدس سره.

عليٌ الحوض ظمأ مقمحين»[١].

٢- وقال علي عليه السلام: «إن خليلي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع عليٌ يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح»[٢].

٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «إن أول أربعة يدخلون الجنة: أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا»[٣].

٤- وعن الشعبي عن علي عليه السلام قال: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وشيعتك في الجنة»[٤].

٥- وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ١٣١.

(٢) الطبراني، المعجم الأوسط ٤: ١٨٧.

(٣) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٨١، ومجمع الزوائد ٩: ١٣١.

(٤) المحمودي، ترجمة الإمام علي عليه السلام ٢: ٣٤٥، مختصر من تاريخ دمشق.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة:٧).[١]

٦- وعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ قال ﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك راضين مرضيين، ويأتي عدوك غضاباً مقمحين»[٢].

إذن من خلال هذه الأحاديث، وكثير غيرها ورد في كتب السنة والشيعة نعرف أن كلمة الشيعة والتشيع لعلي وأولاده طرحت في حياة الرسول الأكرم ﷺ وعلى لسانه الشريف عشرات المرات، وفي مناسبات مختلفة متعددة، طرح ﷺ هذا المصطلح وجذَّره في وعي الأمة، وأصّلَه في ذاكرتها، وعمقه في وجدانها ... وبتأثير تلك التوجيهات العظيمة، والتأكيدات المستمرة على بناء التشيع على يد

(١) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور ٦: ٣٧٩، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٣٧١، وفتح القدير للشوكاني ٥: ٤٧٧.

(٢) الزرندي الحنفي، نظم درر السمطين:٩٢، وشواهد التنزيل للحاكم للحسكاني ٢: ٤٦١، وخصائص الوحي المبين للحافظ بن البطريق: ٢٢٤، وينابيع المودة للقندوزي: ٢: ٣٥٧.

الرسول الأكرم ﷺ فقد تكونت نخبة متميزة من أصحابه كسلمان وأبي ذر، وعمار والمقداد... وغيرهم من الذين تحملوا أعباء تثبيت دعائم الإسلام بتعميق الولاء لآل الرسول ﷺ في الأيام الأولى من حركة الرسالة حتى أصبح لفظ الشيعة يعرف به الأبرار من حواري رسول الله ﷺ.

فحركة التشيع إذن بدأت في حياة الرسول الأكرم ﷺ منذ كان يُبَرِّز شخصية علي عليه السلام، ويرسم أبعادها حتى أثار ذلك حفيظة البعض وحسدهم من الذين كانوا يعايشون الرسول ﷺ فحاولوا أن ينتقصوا من شخصية علي عليه السلام مما أغضبه ﷺ فقال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً؟ من تنقص علياً فقد تنقصني، ومن فارق علياً، فقد فارقني، إن علياً مني، وأنا منه خلق من طينتي»[1].

مراتب التشيع:

وبعد هذا نتساءل من هم شيعة علي وآله؟ هل هم كل من انتسب إليهم، وأدعى الولاء لهم، وتسمى باسم الشيعة؟ أم أن لشيعة

(١) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩: ١٢٨.

أهل البيت عليهم السلام مميزات تميزهم عن غيرهم، وخصال يتصفون بها؟ وقد حدد أهل البيت عليهم السلام ذلك.

والحقيقة أننا إذا تتبعنا، واستقرأنا التعليمات التي أصدروها من الأوامر والنواهي لشيعتهم، والمعالم التي حددوها، والسمات التي وضعوها في أحاديثهم نجد أنهم فَرَّقُوا بين (المحب) و(الموالي) و(المتشيع). ويمكن القول أنهم جعلوا للتشيع ثلاث مراتب متدرجة من الأدنى إلى الأعلى. ولنتحدث عن كل واحدة من هذه المراتب وهي:

١- الحب :

وهو أول مراتب التشيع، فمن تشيع لرجل لابد وأن يحبه، وما لم يترسَّخ حبه في قلبه لا يمكن أن يكون له شيعة؛ ولهذا تجد التأكيد المتواصل على لزوم الحب لعلي عليه السلام وأهل بيته على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وقد كان صلى الله عليه وآله يعمق حب علي ويجذّره في القلوب حتى جعل حبه مقياس الإيمان، وبغضه علامة النفاق فقد روى ابن عباس قال: نظر الرسول صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام فقال: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

(١) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩: ١٣٣.

وعن ابن عباس أيضاً قال: «قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، للنار جواز؟ قال: نعم. قلت: وما هن؟ قال: حب علي بن أبي طالب»[١].

وعنه أيضاً قال: «قال رسول الله ﷺ: حب علي بن أبى طالب عليه السلام يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب»[٢].

بل إن الله تعالى أخذ على المؤمنين ميثاقاً على حب علي بن أبي طالب عليه السلام فعن أبي ذر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام: إن الله أخذ ميثاق المؤمنين على حبك، وأخذ ميثاق المنافقين على بغضك، فلو ضربتَ خيشوم المؤمن ما أبغضك، ولو نثرت الدنانير على المنافق ما أحبك»[٣].

وهكذا أصبح حب علي عند المسلمين الأوائل ميزاناً يوزن به إيمان الشخص، ومقياساً يميز به المؤمن من المنافق، وقد كثرت الأحاديث والروايات في ذلك في صحاح السنة فضلاً عما ورد في

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٦١.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦٨.

كتب الشيعة، فعن عباد بن الصامت، قال: «كنا ننور أولادنا بحب علي بن أبي طالب، فإذا رأينا أحداً لا يحب علي بن أبي طالب علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشده»[١].

وعن محبوب بن أبي الزناد قال: «قالت الأنصار: إن كنا لنعرف الرجل إلى غير أبيه ببغضه علي بن أبي طالب»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لو اجتمع الناس على حب علي لما خلق الله ﷻ النار»[٣].

و قال رسول الله ﷺ: «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب»[٤].

وقال ﷺ: «ما ثبت الله حب علي في قلب مؤمن فزلت به قدم إلا ثبت الله قدماً يوم القيامة على الصراط»[٥] رواه الخطيب في

---

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٧١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى ١: ٢٧٢.

(٤) جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير: ٢: ١٨٢، حديث رقم: ٥٦٣٣.

(٥) المتقي الهندي، كنز العمال ١١: ٦٢١، حديث رقم: ٣٣٠٢٢.

المتفق والمفترق، عن محمد بن علي معضلا.[١]

وهذه الأحاديث التي روتها صحاح أهل السنة إن دلت على شيء فإنما تدل على الجهد الذي بذله رسول الله ﷺ في تعميق وتجذير، وتأصيل حب علي في قلوب المؤمنين حتى صار ميزاناً يميز به المؤمن من المنافق، وبهذا أصبح قسيم الجنة والنار يقول: «خذي ذا وذري ذا»[٢].

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «ادعوا لي سيد العرب - يعني علي بن أبي طالب عليه السلام - فقالت عائشة: ألستَ سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب. فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه، فقال لهم: يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هذا علي فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»[٣].

---

(١) هكذا وردت في المصدر.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق ١٧: ٣٧٤.

(٣) الأصفهاني، حلية الأولياء ١: ٦٣.

وكان ﷺ يردع كل من حاول أن يذكر علياً بسوء أشد الردع فعن أبي رافع قال: «بعث رسول الله ﷺ علياً أميراً على اليمن وخرج معه رجل من أسلم، يقال له عمرو بن شاس فرجع وهو يذم علياً، ويشكوه فبعث إليه رسول الله ﷺ فقال: اخسأ يا عمرو، هل رأيت من علي جوراً في حكمه، أو أثرة في قسمه قال: اللّهم لا. قال: فعلام تقول الذي بلغني؟ قال: بغضه لا أملك، قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجهه، ثم قال: من أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن احبني فقد أحب الله تعالى»[١].

والسر الكامن وراء هذا التأكيد أن علياً عليه السلام هادياً مهدياً، يقود الأمة إلى ساحل النجاة، ويهدي الأنام إلى الله تعالى، ويضعهم على جادة الصواب. وهذا ما كان رسول الله ﷺ يؤكده لأصحابه دائماً فقد روى حذيفة بن اليمان أنه قال: «قالوا: يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال: إن تولوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم»[٢].

---

(١) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ١٢٩.

(٢) الأصفهاني، حلية الأولياء ١: ٦٤.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «إن تستخلفوا علياً - وما أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء»[١].

والأحاديث في ذلك كثيرة، وقد روي ذلك عن عمر بن الخطاب حيث قال: «إن الأجلح[٢] إن ولِيَها ليحملنكم على المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وكان رسول الله ﷺ من قبل قال: وإن تولوها عليًّا تجدوه هادياً مهدياً»[٣].

وكما جاء التأكيد على حب علي متواصلاً، كذلك أكد على حب بقية أهل البيت عليهم السلام حتى أصبح الإيمان مشروطاً بحبهم حيث قال ﷺ: «لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبي»[٤].

وفي حديث آخر عن العباس أنه جلس إلى قوم فقطعوا حديثهم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ما بال أقوامٍ إذا جلس

---

(١) الأصفهاني، حلية الأولياء ١: ٦٤.

(٢) الأجلح: من الجلح، وهو ذهاب الشعر من مقدم الرأس، وكان علي عليه السلام كذلك.

(٣) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١: ١٠-١١.

(٤) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ١٧٠.

إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم؟ والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرئ الإيمان حتى يحبهم لله، ولقرابتهم مني»[١].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي»[٢] وفي لفظ ولقرابتكم، بل جعل ﷺ حبه وحب أهل بيته أساس الإسلام، وفي ذلك دلالة على أن أي عمل بدون حبهم لا قيمة، ولا اعتبار له، يقول ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي، إن الإسلام عريان لباسه التقوى، ورياشه الهدى، وزينته الحياء، وعماده الورع، وملاكه العمل الصالح، وأساس الإسلام حبي وحب أهل بيتي»[٣].

وعن الحسن بن علي عليه السلام إن رسول الله ﷺ قال: «ألزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا»[٤].

---

(١) المتقي الهندي، كنز العمال ١٣: ٦٤٢، حديث رقم: ٣٧٦٢٤.

(٢) المصدر نفسه حديث رقم: ٣٧٦٢٣.

(٣) المصدر نفسه ١٣: ٦٤٥، حديث رقم: ٣٧٦٣١.

(٤) ابن حجر الهيثمي، جمع الزوائد ٩: ١٧٢.

ومن خلال هذه الأحاديث وغيرها نفهم أنه ﷺ إنما يؤكد على حب علي وأهل بيته؛ ليشد الأمة إليهم، ويضعها على خطهم المستقيم؛ ليقتدوا بهم، وينتهجوا نهجم، ولكن ينبغي أن نشير إلى أن الحب الذي يريده ﷺ ليس هو الحب العاطفي الساذج، وإنما هو الحب المبدئي النابع عن إيمان عميق، ومعرفة سليمة، ومقرون بالاتباع والعمل، ولذا شَرَطَ أن يكون حبهم لله تعالى ... وهذا الحب هو الذي يشد المؤمن إلى الإسلام، ويدفعه للتضحية من أجله وعلى هذا كانوا عليهم السلام يؤكدون لشيعتهم، يقول الإمام الحسين عليه السلام: «من أحبنا كان منا أهل البيت. فقلت: منكم أهل البيت؟ فقال: منا أهل البيت حتى قالها ثلاثاً»؛ ثم قال عليه السلام: «أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾»[1].

وعن بشر بن غالب الأسدي قال: «حدثني الحسين بن علي عليه السلام قال لي: يا بشر بن غالب من أحبنا لا يحبنا إلا لله، جئنا نحن وهو كهاتين - وقدر بين سبّابتيه - ومن أحبنا لا يحبنا إلا للدنيا

(١) الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٤٠، وموسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨٢-٥٨٣.

فإنه إذا قام قائم العدل وسع عدله البر والفاجر»[١].

إذن الحب الذي دعا إليه أهل البيت عليهم السلام وأرادوه هو الحب الواعي المبني على حب الله تعالى، والذي يستتبع العمل، والإتباع وإلا فلا قيمة لحب بدون إتباع وعمل، يقول تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١).

«فالمراد - والله أعلم - إن كنتم تريدون أن تخلصوا لله في عبوديتكم بالبناء على الحب حقيقة فاتبعوا هذه الشريعة التي هي مبنية على الحب الذي ممثله الإخلاص والإسلام، وهو صراط الله المستقيم الذي يسلك بسالكه إليه تعالى، فإن اتبعتموني في سبيلي وشأنه هذا الشأن أحبكم الله وهو أعظم البشارة للمحب، وعند ذلك تجدون ما تريدون، وهذا هو الذي يبتغيه محب بحبه»[٢].

وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله: «من أحبنا فليعمل بعملنا»[٣] وأدق عبارة في حقيقة الحب المراد ما جاء

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨٢-٥٨٣.

(٢) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٣: ١٥٩.

(٣) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٧١: ١٧٤.

عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام حيث قال: «أحبونا بحب الإسلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تعالى اتخذني عبداً، قبل أن يتخذني رسولاً»[1].

طبقات المحبين :

الحب مراتب متفاوتة بتفاوت المعرفة فكلما ارتفعت معرفة الإنسان بالله تعالى ازداد حبه، وأعلى تلك المراتب هي الحب لله وفي الله، وحب أهل البيت هو من الحب في الله، وهو أوثق عرى الإيمان، وهو الذي يملك جوارح الإنسان وجوانحه، وعلامته أن ينصر الحق وأهله بقلبه ولسانه ويده، والدرجة الثانية أن ينصره بقلبه، ولسانه، والدرجة الثالثة تتوقف عند حدود القلب، ولا تتعداه. فعن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «في الجنة ثلاث درجات، وفي النار ثلاث دركات: فأعلى درجات الجنة لمن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه ويده، وفي الدرجة الثانية من أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه، وفي الدرجة الثالثة من أحبنا

(١) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ٢١.

بقلبه... »[١].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أحبّنا بقلبه، وأعاننا بلسانه وقاتل معنا أعداءنا بيده، فهم معنا في درجتنا، ومن أحبّنا بقلبه وأعاننا بلسانه، ولم يقاتل معنا أعداءنا فهو أسفل من ذلك بدرجة، ومن أحبّنا بقلبه، ولم يعنّا بلسانه، ولا بيده، فهو في الجنة...الخ»[٢].

إذن فللحب درجات ثلاث: العليا منها أن يذيب المحبُ وجوده كاملاً في حب الله ورسوله وأهل بيته، ولا يعود يرى مؤثراً في الوجود غير الله؛ ولذلك يبذل وجوده كله، ويفنيه في الحب لله تعالى، وتلك مِنَةٌ من الله تعالى يمنها على من أخلص لله بقلبه ولسانه، ويده وهي مشروطة بالمعرفة الصحيحة.

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مَنَّ الله عليه بمعرفة أهل بيتي، وولايتهم فقد جمع الله له الخير كله»[٣].

وتلك هي السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، ودون تلك

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٧: ٩٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٧: ٨٩.

(٣) المصدر نفسه: ٨٨.

الدرجة درجتان إحداهما دون الأخرى، ولكل منها منفعة بقدرها وفي تقسيم آخر أوضح الإمام الصادق عليه السلام درجات وطبقات المحبين بعنوان السر، والعلانية درجتان والدرجة العليا هي الجمع بين السر والعلن فقد دخل على الصادق عليه السلام رجل، فقال له: «ممن الرجل؟ فقال: من محبيكم ومواليكم، فقال له (الإمام) جعفر عليه السلام: لا يحب الله عبداً حتى يتولاه، ولا يتولاه حتى يوجب له الجنة، ثم قال له: من أيٍّ محبينا أنت؟ فسكت الرجل، فقال له سدير: وكم محبوكم يا ابن رسول الله؟ فقال: على ثلاث طبقات: طبقة أحبونا في العلانية، ولم يحبونا في السر، وطبقة يحبونا في السر، ولم يحبونا في العلانية، وطبقة يحبونا في السر والعلانية، هم النمط الأعلى، وشربوا من العذب الفرات، وعلموا بأوائل الكتاب، وفصل الخطاب، وسبب الأسباب، فهم النمط الأعلى، الفقر، والفاقة، وأنواع البلاء أسرع إليهم من ركض الخيل، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا، وفتنوا، فمن بين مجروح ومذبوح متفرقين في كل بلاد قاصية، بهم يشفي الله السقيم، ويغني العديم، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، وبهم ترزقون، وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً، والطبقة الثانية: النمط الأسفل أحبونا في العلانية، وساروا

بسيرة الملوك، فألسنتهم معنا، وسيوفهم علينا، والطبقة الثالثة: النمط الأوسط أحبونا في السر، ولم يحبونا في العلانية، ولعمري لأن كانوا أحبونا في السر دون العلانية، فهم الصوامون بالنهار، القوامون بالليل، ترى أثر الرهبانية في وجوههم أهل سلم وانقياد.

قال الرجل: فأنا من محبيكم في السر والعلانية، قال جعفر عليه السلام: إن لمحبينا في السر والعلانية علامات يعرفون بها، قال الرجل: وما تلك العلامات؟ قال عليه السلام تلك خلال أولها: أنهم عرفوا التوحيد حق معرفته، وأحكموا علم توحيده، والإيمان بعد ذلك بما هو؟ وما صفته؟ ثم علموا حدود الإيمان، وحقائقه وشروطه وتأويله»[1].

وهذا هو عين التقسيم الأول، فالسر هو الحب في القلب، والعلن هو الحب في اللسان، والسر والعلن الذي عبر عنه الإمام عليه السلام بالنمط الأعلى هو الحب الذي يشغل القلب، واللسان، واليد متحركة كلها في اتجاه تحقيق رضى الله تعالى، فهو يستقطب كيان الإنسان كله فلا يعود يفكر بشيء سواه، وبهذا يتضح إن الحب في

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ٢٤١-٢٤٢.

الإسلام يبتني على المعرفة الواعية، والحركة الجادة في خط التوحيد لا مجرد عواطف تلتهب ثم تخبو، وتنتهي إلى الأبد، ولهذا رفض أهل البيت عليهم السلام الحب المتزلزل، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«الشيعة ثلاث :محب وادٌّ، فهو منا، ومتزين بنا، ونحن زين لمن تزين بنا، ومستأكل بنا الناس، ومن إستأكل بنا افتقر»[1].

والحب يقترن بالطاعة فلا حب بدونها، بل هو حب كاذب لا قيمة له ولا اعتبار. كما ورد في حديث جابر الجعفي عن الإمام الباقر عليه السلام تحديد دقيق لحقيقة المحب، يقول عليه السلام: «يا جابر يكتفي من [ينتحل] اتخذ التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون [يا جابر] إلا بالتواضع، والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبر بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء، وأهل المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة،

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ١٠٣.

فقال لي: يا جابر لا تذهبنَّ بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب علياً صلوات الله عليه وأتولاه [ثم لا يكون مع ذلك فعالاً؟] فلو قال: إني أحب رسول الله ﷺ ورسول الله خير من علي ثم لا يتَّبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله، وأعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له، وأعملهم بطاعته. يا جابر ما يتقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد [من] منكم حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، ولا تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»[1].

ونحن إذا تأملنا هذه الرواية ودققنا النظر فيها نجد:

١- إن الإمام عليه السلام يريد أن يعالج بعض الظواهر السلبية التي تفشت في وسط المنتمين لأهل البيت عليهم السلام وهي: ظاهرة التبرير وإن الحب يكفي الإنسان حتى لو تجرد من المعرفة، والطاعة، والامتثال، يقول الشيخ الشهيد حسين معن رحمه الله: «وقد واجه الأئمة

(١) الشيخ الصدوق، صفات الشيعة: ١١-١٣، والأصول من الكافي ٢: ٧٤-٧٥.

عليه السلام هذا التيار الذي يحاول تحريف التشيع، وتحويله من نقائه وصفائه، وأصالته الإسلامية، والتزاماته الحدية، إلى فكر يقدم التنازلات تلو التنازلات لواقع الانحراف وسلوك التحلل والتميع»[1].

٢- حدد الإمام عليه السلام الصفات التي يجب أن يتحلى بها المحب لأهل البيت عليهم السلام وهي: التواضع، والتخشع، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة ... الخ. وذلك يعني أن المحب إذا لم يتوفر على تلك الصفات والأعمال فحبه لا قيمة له ولا اعتبار؛ ولهذا أكد للذين يدَّعون حب الإمام علي عليه السلام ويتذرعون بحبه، ولا يتبعون سيرته ويخالفون أوامره، فإن حبهم هذا هواء في شبك؛ لأن الإنسان حتى لو أحب رسول الله الذي هو أفضل من علي عليه السلام فلن ينفعه حبه شيئاً ما لم يقترن بالتقوى، والورع، والعمل بإخلاص؛ لأن ولي أهل البيت عليهم السلام هو المطيع لله فقط وفقط، وإن عدوهم من عصى الله تعالى.

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل»[2].

---

(١) الشهيد الشيخ حسين معن، نظرات في الإعداد الروحي: ٢٢٣، الطبعة الخامسة.

(٢) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٧٣ باب الطاعة.

ويقول عليه السلام: «والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرَّب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لن تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا»[١].

المتسترون بحب أهل البيت عليهم السلام :

إن من اشد ما كان يؤذي أئمة الهدى، ويجرح قلوبهم أن يدَّعي أحد الانتساب إليهم، والتشيع لهم، وهو يخالف أوامر الله تعالى ونواهيه، ويسلك سلوكاً يشين سمعة الشريعة المقدسة ويعطي مردوداً عكسياً لدين الله تعالى.

فعن الحسن بن علي الخزاز قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «إن ممن يتخذ مودتنا أهل البيت لمن هو أشد لعنة على شيعتنا من الدجال، فقلت له: يا بن رسول الله بماذا؟ قال: بموالاة أعدائنا، ومعاداة أوليائنا، إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل، واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق»[٢].

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٧٥-٧٦.

(٢) الشيخ الصدوق، صفات الشيعة: ٨ .

ولذلك كانوا عليهم السلام يظهرون امتعاضهم من الغلاة، ويكفرونهم ويبرؤن منهم، أولئك الذين ينتحلون مودتهم كذباً وزوراً، ويُحَذرون منهم، ويصفونهم بأقذع الأوصاف. فعن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن ممن ينتحل هذا الأمر لمن هو شرٌّ من اليهود، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا»[1].

وكان الصادق عليه السلام يصف هؤلاء بالسفلة، وهي كلمة توحي بانحطاط هؤلاء، وسقوطهم إلى الحضيض، يقول عليه السلام كما روى يونس بن عبد الرحمن، عن العلاء بن زرين، عن المفضل بن عمر قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياك والسفلة، إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه»[2].

وفي حديث آخر يقول عليه السلام للمفضل بن عمر: «اتق السفلة وأحذر السفلة، فإني نهيت أبا الخطاب فلم يقبل مني»[3].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٦٦.

(٢) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال: ٥٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٣.

وكان عليه السلام ينهى عن معاشرتهم، ومسايرتهم ومساعدتهم فيقول: «لا تقاعدوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا تؤاثروهم»[١].

بل كان عليه السلام يعلن البراءة من هؤلاء المحبين الغلاة، ويشدد على التبريء منهم، فيقول لسدير: «يا سدير، سمعي، وبصري وشعري، وبشري، ولحمي، ودمي من هؤلاء براء بَرَءَ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني، ودين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط»[٢].

وهذا هو غاية ما يمكن الإعلان عنه بقطع العصمة عنهم لكفر هؤلاء، ومروقهم من الدين ... بالغلو بالأئمة الطاهرين وإخراجهم من البشرية إلى الألوهية، ولهذا وسموهم بالنفاق بانتحالهم التشيع كذباً وزوراً.

وكان أبرز هؤلاء «المغيرة بن سعيد، وبيان، وصائد النهدي، والحارث الشامي، وعبد الله بن الحارث، وحمزة بن عمارة البربري،

---

(١) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال: ٥٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥٩٤.

وأبو الخطاب»[١] ونحن نستوحي من مجموع الأحاديث مدى ما أُوذي الإمام عليه السلام من هؤلاء فنجده يقول: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا، ومعادنا، وبيده نواصينا»[٢]. وسيأتي الحديث مفصلاً عن الغلو والغلاة إن شاء الله تعالى.

٢- الولاء :

وهي أعلى درجة من الحب فهي تشمل الحب وزيادة، فإذا تمركز الحب في القلب فإن الولاء يتجسد في السلوك قولاً وعملاً ويبذل في سبيله كل شيء فالموالي محب، ونصير، ومتفان، وذائب في ولائه ... فقد يكون الإنسان محباً، ولكن غير ناصر لحبيبه، وهذه أدنى درجات الحب، وأما الموالي فهو محب في أعلى درجات الحب، ولكن هذه الدرجة هي أدنى من درجة التشيع؛ لأن درجة التشيع جوهر الإسلام وروحه: عقيدة، ونظاماً، قلباً، وقالباً، مفهوماً ومصداقاً، فليس كل موال نستطيع أن نقول هذا شيعي، ولكن يمكن

---

(١) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال: ٥٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٥٩٠-٥٩١.

أن يقال لكل شيعي محب وموال؛ وذلك لأن التشيع مرتبة شريفة في ذروة الكمال لا يمكن أن يدعيها كل أحد، ولهذا نهى أئمة الهدى عليهم السلام محبيهم ومواليهم أن يدعوها إذا لم يكونوا لها أهلاً ومن هنا كان موقف الإمام الرضا عليه السلام شديداً على جمع من المحبين عندما ادعوها بغير حق، فقد روى المحدث المجلسي في البحار أن الإمام عليه السلام حجب قوماً استأذنوا لزيارته والتزود من فيض نوره، لادعائهم أنهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وكان قد حجبهم لمدة طويلة، ولما عاتبوه على ذلك قال عليه السلام لهم: «لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويحكم إنما شيعته الحسن، والحسين، أبو ذر، وسلمان والمقداد، وعمار، ومحمد بن أبي بكر الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجره، فأما أنتم إذا قلتم إنكم شيعته، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، مقصرون في كثير من الفرائض، متهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا يجب التقية وتتركون التقية حيث لابد من التقية، فلو قلتم إنكم موالوه، ومحبوه، والموالون لأوليائه، والمعادون لأعدائه لم أنكره من قولكم، ولكن هذه مرتبة شريفة ادَّعيتموها إن لم تصدِّقوا قولكم

بفعلكم هلكتم إلا أن تتداركم رحمة من ربكم»[١].

ومعنى هذا أن هذه المرتبة التي عبر عنها الإمام عليه السلام بـ(المرتبة الشريفة) مرتبة عالية من الكمال مصداقها: مطابقة القول للفعل بوعي وإيمان خالص لا يشوبه ريب، ولا شك أنه ليس كل من ادعى التشيع كذلك، إلا من تلا القرآن فأحكمه، وتدبر الفرض فأقامه، وأحيى السنة، وأمات البدعة، وجاهد في الله حق الجهاد[٢] واتقى الله حق تقاته، وكان رضوان الله مراده ومرامه في كل قول وفعل، وهؤلاء هم الثلة القليلة النادرة، فهم إذن محبون وموالون ولم يبلغوا درجة التشيع فيجب أن لا يدعوها، لأن الشيعي هو الشخصية التي طهرت من أدران الذنوب، وذمائم الأخلاق وأخلصت لله علمها وعملها. قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا رسول الله فلان ينظر إلى حرم جاره، فإن أمكنه مواقعة حرام لم يرع عنه، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ائتوني به، فقال رجل آخر: يا رسول الله إنه من شيعتكم ممن يعتقد موالاتك وموالاة علي، ويبرأ من أعدائكما.

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٨.

(٢) راجع: نهج البلاغة: خطبة: ١٨٢.

فقال رسول الله ﷺ: لا تقل إنه من شيعتنا فإنه كذب، إن شيعتنا من شَيّعَنا وتَبعنا في أعمالنا، وليس هذا الذي ذكرته في هذا الرجل من أعمالنا»[١].

وقيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: «إن فلاناً سرف على نفسه بالذنوب الموبقات، وهو مع ذلك من شيعتكم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد كُتبتْ عليك كذبة، أو كذبتان إن كان مسرفاً بالذنوب على نفسه يحبنا ويبغض أعداءنا فهو كذبة واحدة؛ لأنه من محبينا لا من شيعتنا، وإن كان يوالي أوليائنا، ويعادي أعداءنا وليس بمسرف على نفسه كما ذكرت فهو منك كذبة؛ لأنه لا يسرف في الذنوب، وإن كان يسرف في الذنوب ولا يوالينا، ولا يعادي أعداءنا فهو منك كذبتان»[٢].

ومن خلال تتبع الأحاديث والأخبار الواردة عنهم عليهم السلام نجد أن كثيراً من الموالين لأهل البيت عليهم السلام كانوا يتطلعون إلى نيل درجة التشيع ويتمنون أن يعرفوا هل بلغوها أم لا؟ إلا أن أهل

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

البيت عليهم السلام كانوا يحددون المفاهيم العامة لها، ولا يُعَيِّنُونَ المصاديق إلا قليلاً كسلمان الفارسي، وأبي ذر... وغيرهما ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه ممن مضى إلى ربه، وهو ثابت على ولايتهم رغم كل ما لاقاه من أذىً واضطهاد في سبيل ولائه.

قال رجل لامرأته: «اذهبي إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فاسأليها عني أني من شيعتكم أم ليس من شيعتكم؟ فسألتها، فقالت عليها السلام: قولي له: إن كنتَ تعمل بما أمرناك، وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا وإلا فلا»[1].

وقال رجل للإمام الحسن بن علي عليه السلام: «إني من شيعتكم. فقال الحسن بن علي عليه السلام: يا عبد الله إن كنت لنا في أوامرنا وزواجرنا مطيعاً، فقد صدقت، وإن كنت بخلاف ذلك فلا تزد في ذنوبك بدعواك مرتبة شريفة لست من أهلها لا تقل لنا: أنا من شيعتكم، ولكن قل: أنا من مواليكم، ومحبيكم، ومعادي أعدائكم، وأنت في خير، وإلى خير»[2].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٦.

وقال رجل للحسين بن علي عليه السلام: «يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم، قال: اتقِ الله، ولا تَدَّعِيَنَّ شيئاً يقول الله لك كذبت وفجرت في دعواك، إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غش وغل ودغل[١]، ولكن قل أنا من مواليكم ومحبيكم»[٢].

وقال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام: «يا ابن رسول الله أنا من شيعتكم الخُلَّص، فقال له: يا عبد الله فإذن أنت كإبراهيم الخليل عليه السلام الذي قال الله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فإن كان قلبك كقلبه فأنت من شيعتنا، وإن لم يكن قلبك كقلبه وهو طاهر من الغش والغل، فأنت من محبينا وإلا فأنت إن عرفت أنك بقولك كاذب فيه، إنك لمبتلي بفالج لا يفارقك إلى الموت، أو جذام ليكون كفارة لكذبك هذا»[٣].

وقال الباقر عليه السلام لرجل فخر على آخر وقال: «أتفاخرني وأنا من شيعة آل محمد الطيبين؟ فقال الباقر عليه السلام: ما فخرتَ عليه ورب

---

(١) الغل: الضغن والشحناء والحقد الكامن في القلب، والدغل: الفساد.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦.

الكعبة، وغبنٌ منك على الكذب، يا عبد الله، أمالك معك تنفقه على نفسك أحبٌ إليك؟ أم تنفقه على إخوانك المؤمنين؟ قال: بل أُنفقه على نفسي، قال: فلستَ من شيعتنا، فإننا نحن ما ننفق على المنتحلين من إخواننا أحب إلينا، ولكن قل: أنا من محبيكم، ومن الراجين النجاة بمحبتكم»[1].

ولعظمة هذه الأوصاف والعلامات والخصال التي حددها أئمة الهدى عليهم السلام لشيعتهم، والتي شملت كل أبعاد الشخصية الرسالية كسلامة القلب، وزكاة النفس، وكرم الطبع، والعمل الصالح ... الخ كان بعض أصحابهم المخلصين يتخوفون من الله إذا نُسبت إليهم صفة التشيع ويرون أنفسهم أنهم دون ذلك بكثير، ويشعرون بالتقصير الكبير أمام لوازم التشيع والتزاماته.

قيل للصادق عليه السلام: «إن عماراً الدهني شهد اليوم عند ابن أبي ليلى قاضي الكوفة بشهادة، فقال له القاضي: قم يا عمار فقد عرفناك لا تُقبل شهادتك؛ لأنك رافضي، فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه واستفرغه البكاء، فقال له ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦.

والحديث إن كان يسوؤك أن يقال لك رافضي فتبرأ من الرفض فأنت من إخواننا، فقال له عمار: يا هذا ما ذهبت والله حيث ذهبت ولكن بكيت عليك وعليَّ، أما بكائي على نفسي فانك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها زعمت أني رافضي، ويحك لقد حدثني الصادق عليه السلام أن أول من سمي الرفضة السحرة الذين لما شاهدوا آية موسى في عصاه آمنوا به واتبعوه، ورفضوا أمر فرعون واستسلموا لكل ما نزل بهم، فسماهم فرعون الرافضة لما رفضوا دينه، فالرافضي كل من رفض جميع ما كره الله، وفعل كل ما أمره الله، فأين في هذا الزمان مثل هذا؟.

وإنما بكيت على نفسي خشيت أن يطلع الله عز وجل على قلبي، وقد تلقّبتُ هذا الاسم الشريف على نفسي فيعاتبني ربي عز وجل ويقول: يا عمار أكنت رافضاً للأباطيل، عاملاً بالطاعات كما قال لك؟ فيكون ذلك بي مقصراً في الدرجات إن سامحني، وموجباً لشديد العقاب عليَّ إن ناقشني، إلا أن يتداركني مواليَّ بشفاعتهم.

وأما بكائي عليك فلعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله أن صرَّفتَ أشرف الأسماء إليَّ، وإن جعلته من أرذلها، كيف يصبر بدنك على عذاب كلمتك

هذه؟.

فقال الصادق عليه السلام: لو أن على عمار من الذنوب ما هو أعظم من السماوات و الأرضين لمحيت عنه بهذه الكلمات، وإنها لتزيد في حسناته عند ربه عز وجل حتى يجعل كل خردلة منها أعظم من الدنيا ألف مرة»[1].

٣- التشيع :

بعد هذا الاستعراض السريع والمختصر للأحاديث الواردة في صفات الشيعة نعرف إن التشيع مرتبة سامية شريفة تجمع كل معالم الكمال؛ لذلك لا يبلغها الإنسان بمجرد الحب والولاء، وإنما لابد من تحقق جميع لوازمها ومقتضياتها من: العلم، والإيمان، والعمل الصالح، ومستوى رفيع من الفكر السليم، ونضوج عاطفي في ذروة الكمال، واستقامة في السلوك الرسالي المنير. وقد أوضح أئمة الهدى صفات الشيعة من خلال ثلاثة محاور رئيسية وهي:

أ- محور العلاقة مع الله تعالى:

فالشيعي الخالص هو العارف بالله، الراغب في ثوابه، والخائف

---

(١) المصدر نفسه : ١٥٦-١٥٧.

من عقابه، والمطيع لأوامره، والمسلم لقدره، والراضي بقضائه والمؤدي لفرائضه، والشاعر بهيمنته، والمؤمن بمعييته، الذي لا يرى مؤثراً في الوجود غيره، فلا يفقدهم الله حيث أمرهم، ولا يجدهم حيث نهاهم ، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام لنوف البكالي: «يا نوف شيعتي والله الحلماء، العلماء بالله ودينه، العاملون بطاعته وأمره، المهتدون بحبه، أنضاء عبادة، أحلاس زهادة، صفر الوجوه من التهجد، عَمَشُ العيون من البكاء، ذُبُلُ الشفاه من الذكر، خمص البطون من الطَّوى، تعرف الربّانية في وجوههم، والرهبانية في سَمْتِهم، مصابيح كل ظلمة وريحان كلِّ قبيل، لا يثنون من المسلمين سلفاً، ولا يَقْفُون لهم خلفاً، شرورهم مكنونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، أنفسهم منهم في عناء والناس منهم في راحة، فهم الكاسة الألبّاء، والخالصة النجباء، وهم الروّاغون فراراً بدينهم، إن شهدوا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا أولئك شيعتي الأطيبون، وإخواني الأكرمون، ألا هاه شوقاً إليهم»[1].

فالشيعي إذن هو العارف بالله تعالى الذي يرى نفسه بعين الله

(١) الشيخ الطوسي، كتاب الأمالي: ٨٣٣-٨٣٤.

في حله وترحاله؛ ولذا لا يفتر عن ذكره، ولا يتوقف عن عبادته، حتى جعل كل كلمة يقولها، وخطوة يخطوها، ولحظة يرمقها، ولقمة يأكلها لله خالصة، ولا يرجون من ذلك سوى رضا الله تعالى يقول الإمام الصادق عليه السلام: « ... إنما شيعة علي من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك، فأولئك شيعة جعفر»[١].

وفي حديث آخر، يقول عليه السلام: «شيعتنا أهل الهدى، وأهل التقى، وأهل الخير، وأهل الإيمان، وأهل الفتح والظفر»[٢].

وقال عليه السلام للمفضل بن عمر: «إذا أردت أن تعرف أصحابي فأنظر إلى من اشتد ورعه، وخاف خالقه، ورجا ثوابه، وإذا رأيت هؤلاء فهؤلاء أصحابي»[٣].

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٢٣٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٣٦.

عقيدة الشيعة بالله تعالى:

كل ما تقدم من صفات، وخصال، وأعمال عبادية للشيعة هي نتاج عقيدتهم بالله تعالى التي تنزه الله ﷻ عن التشبيه والتجسيم، والحلول، والتوصيف، والتحديد بزمان أو مكان .

وموجز عقيدتهم بالله تعالى كما اقتبسناها من أحاديث أئمة الهدى عليهم السلام أن الشيعة يقرون بوحدانية الله وربوبيته إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة، ولا ولداً، هو الأول ليس له في أوليته بداية، ولا في آخريته غاية، لم يسبقه وقت، ولم يتقدمه زمان، ولا يوصف بأين، ولا مكان قصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه تعالى، لا تصحبه الأوقات، ولا تضمه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحده الصفات، ولا تقيده الأدوات، ولا تجري عليه الحركة والسكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو إبتداه؟ فتبارك الله الذي لا يبلغه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن فتعالى الله الذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت موجود، وهو الدائم الذي لا نفاد له، والحي الذي لا يموت ، والخالق لما يُرى

وما لا يُرى، العالم بكل شيء بغير تعليم.[1]

وعن محمد بن أبي عمير قال: «دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، علمني التوحيد، فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يَلد فيورث، ولم يُولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وإنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يُغلب والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وإنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن

(١) هذه الكلمات الشريفة مقطعة من أحاديث كثيرة وردت في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق رحمه الله.

ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ وهو الأول الذي لا شيء قبله والآخر الذي لا شيء بعده، وهو القديم، وما سواه مخلوق محدث تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيراً»[1].

هذا موجز عقيدة شيعة آل محمد ﷺ بالله تعالى، وتفصيل ذلك موكول إلى محله من البحوث المفصلة.

صفاتهم النفسية والأخلاقية :

لا شك إن الصفات النفسية والأخلاقية هي انعكاس لما يحمله الإنسان من عقيدة، وفكر، فإذا كانت العقيدة صحيحة، والتلقي لها سليماً، والالتزام بها واعياً، والتطبيق لما تقضيه من أحكام هادفاً ودقيقاً انعكست على النفس صفاءً، ونوراً، وبصيرةً، وعزماً وتجسدت في الواقع العملي سلوكاً مستقيماً... وقد بين الإسلام الصفات النفسية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان؛ ليصبح من شيعة آل محمد، وإلا فلا يمكن أن يفوز بهذا الانتساب السامي الشريف وأهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الإنسان ليكون شيعياً هي:

الورع، والتقوى، والعلم، والحلم، والصدق، والأمانة، والوفاء

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد: ٧٦-٧٧.

والزهد، والعفة، والحياء، والعدالة، والحكمة، والتواضع، والإباء والشجاعة، وكل خصلة كريمة من مكارم الأخلاق كما وصف ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في بيان صفات شيعته فقال: «ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين وحرصاً على علم، وفهماً في فقه، وعلماً في حلم، وكيساً في رفق وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، وصبراً في شدة، وخشوعاً في عبادة، ورحمة للمجهود، وإعطاء في حق ورفقاء في كسب، وطلباً في حلال ... الخ»[1].

ومن صفاتهم النفسية عزة النفس والتعفف، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «شيعتي من لا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس، وإن مات جوعاً»[2].

وعن أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والاجتهاد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم والليلة، والقائمون بالليل

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٩٤.

(٢) المصدر نفسه ٦٨: ١٩١.

الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجون البيت، ويجتنبون كل محرم»[١].

وأهم صفاتهم العملية هي مقاومة الأهواء النفسية والشهوات المتدنية، والترفع عن الصغائر، وأدق وصف لهذا ما صوَّره لنا أمير المؤمنين بقوله عليه السلام: «إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب، قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زَلَلُهُ، خاشعاً قلبه قانعة نفسه، منزوراً أكله، سهلاً أمره، حريزاً دينه ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون»[٢].

ب- محور العلاقة فيما بينهم:

إن أمتن وأعظم الروابط في العلاقات الاجتماعية هي الروابط العقائدية، وشيعة آل محمد يرتبط بعضهم بالبعض برباط الإيمان والولاء الخالص لله، فهم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ في المودة، والتعاطف، والتآزر، والتعاون، والتآخي، والتآلف، وقد

(١) الشيخ الصدوق، صفات الشيعة: ٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم: ١٩٣.

وصف أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بقوله: «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا»[١].

ولهذا رفضوا أن يكون من شيعتهم من لا يرحم صغيرهم ولا يوقر كبيرهم؛ وذلك لأن واجب شيعة أهل البيت عليهم السلام أن يكونوا متعاونين متآزرين متآخين في الله، يسود بينهم الإيثار، وتزول في علاقاتهم الإثرة، فإذا عكسوا الأمر، وغَلَّبوا الإثرة على الإيثار فليسوا من شيعة آل محمد.

فعن محمد بن عجلان، قال: «كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم فسأله: كيف من خلفت من إخوانك؟ قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرى، فقال له عليه السلام: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟ فقال: قليلة.

قال عليه السلام: وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة.

قال: فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟

فقال: إنك تذكر أخلاقاً قلَّ ما هي فيمن عندنا، قال: فقال عليه السلام:

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٩٠.

فكيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة؟»[١].

وكانوا عليهم السلام يؤكدون على مريديهم - وفي كل لقاء يمكن أن يوصل صوتهم إلى أبناء الأمة - بالتواصل، والتزاور، والتبار والتعاطف، والإحسان، والمواساة ... فقد روي أن سدير الصيرفي دخل على أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من أصحابه فقال: «يا سدير لا تزال شيعتنا مرعيين محفوظين مستورين معصومين، ما أحسنوا النظر لأنفسهم فيما بينهم وبين خالقهم، وصحت نياتهم لأئمتهم، وبرُّوا إخوانهم، فعطفوا على ضعيفهم، وتصدَّقوا على ذوي الفاقة منهم، إنا لا نأمر بظلم، ولكنّا نأمركم بالورع، الورع الورع والمواساة المواساة لإخوانكم، فإن أولياء الله لم يزالوا مستضعفين قليلين منذ خلق الله آدم»[٢].

وفي حديث آخر عن أبي إسماعيل، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير، فقال: [فـ]هل يعطف الغني على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ ويتواسون؟

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ١٧٣.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٤.

فقلت: لا، فقال: ليس هؤلاء شيعة، الشيعة من يفعل هذا»[١].

بل كانوا يردعون صراحة من يدعي الانتساب إليهم، ولا يتخلق بأخلاقهم، ولا يتبعهم في أفعالهم، فعندما سمع الإمام الباقر عليه السلام رجلاً يفخر على آخر، ويقول له: «أتفاخرني وأنا من شيعة آل محمد الطيبين؟ »[٢] كما تقدم في حديث الإمام الباقر عليه السلام.

هذه شذرات قليلة مما ورد عنهم عليهم السلام في التأكيد على المواصلة والتزاور، والتآخي، والتبار بصدق وإخلاص لله تعالى.

ج- محور علاقتهم بالآخرين ممن على غير مذهبهم :

لقد أراد أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم أن يكونوا النموذج الأمثل في العلم والحلم، والقول والعمل، عقيدةً، وفكراً، وسلوكاً، وأن يمثلوا الإسلام في سلوكهم قبل أقوالهم وادعاءاتهم كي يصبحوا القدوة والأسوة للآخرين، وبتعبير الإمام الصادق عليه السلام دعاة صامتين، وبذلك يكونوا إسلاماً متجسداً يمشي على الأرض؛ ولهذا نجد في هذا المجال فيضاً واسعاً من الروايات التي تصف المنتسبين لأهل

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ١٧٣.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥٦.

البيت بكل خصال الفضل والخير والصلاح: كالتقوى، والورع، والحلم، والعلم، والعفة، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الجوار.

فعن أبي أسامة قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا طال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه، وقال: يا ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيت»[١].

وقال عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الورع، والاجتهاد، والصلاة، والخير فإن ذلك داعية»[٢].

وقال عليه السلام: «إنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من إتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزينوا به يرحمكم الله، وكيِّدوا أعدائنا به ينعشكم الله»[٣].

---

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧٨.

(٣) المصدر نفسه.

إذن من خلال ذلك يتبين أن إرادة أئمة الهدى من شيعتهم هي تجسيد الإسلام في سلوكهم وأخلاقهم قبل الأقوال والادعاءات ليمثلوا وجه الإسلام، ويجذبوا الناس إليه بدون تكلف، ولا إدعاء يقول سليمان بن مهران: «دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة، وهو يقول: معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول، وقبح القول»[1].

وفي حديث آخر: «... كونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، حببونا إلى الناس، ولا تبغضونا، جرُّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبيح ...»[2].

وفي وصية الإمام العسكري عليه السلام لشيعته صورة تامة جامعة مانعة لما يجب أن يكون عليه أتباع أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم مع المخالفين لهم يقول عليه السلام: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٦٨: ١٥١-١٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٧٨: ٣٤٨.

من بر أوفاجر، وطول السجود، وحسن الجوار فبهذا جاء محمد ﷺ صلوا في عشائرهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم. فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق في حديثه وأدى الأمانة، وحَسنَ خُلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي فيسرني ذلك.

اتقوا الله، وكونوا زيناً، ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك»[1].

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ٣٦٧.

الفصل الثاني :

تعريف الغلو

جاء في معاجم اللغة أن الغلو: الغين - واللام - والحرف المعتل أصل صحيح يدل على: الارتفاع ومجاوزة الحد في كل شيء، فهو «التجاوز عن القدر، والغالي هو الذي يتجاوز في أمر الدين عما عدل وبين قال تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾»[1].

يقال: «تصلبَ وتشددَ حتى تجاوزَ الحدَّ والمقدار ... »[2].

ويقال: «غلا في الدين، يغلو غلواً أوغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرعت الشباب، وتجاوزت لِداتها تغلو غلواً، قال الحارث بن خالد المخزومي:

خمصانةٌ قَلِقٌ مَوَشَّحُهَا رَؤْدُ الشبابِ غلا بِها عظمُ»[3]

---

(١) الشيخ الطريحي، مجمع البحرين ٥: ٣٧.

(٢) المصدر نفسه ١: ٣١٨.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان ٣: ٢٢١.

«وغلا بسهمه غلواً إذا رمى به سهماً أقصى غايته... وتغالى النبت ارتفع وطال، وتغالى لحم الدابة إذ انحسر عنه وبره، وذلك لا يكون إلا من قوة وسمن»[١].

يقول الشيخ المفيد ﷺ: «الغلو في اللغة هو التجاوز عن الحد والخروج عن القصد، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾»[٢].

وأما اصطلاحاً: فقد اختلفت الأقوال والرؤى في معنى الغلو اختلافاً واسعاً «فإن الظاهر من كلمات القدماء أنهم لم يتفقوا في معنى الغلو بشكل خاص على ما حكى شيخنا المفيد ﷺ»[٣] ومع هذا الاختلاف في تحديد معنى الغلو يمكن أن نقف عليه إذا عرفنا أن بعض علماء قم القدامى كانوا يرون أن القول بعدم سهو

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، معجم مقاييس اللغة ٤: ٣٨٨.

(٢) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد(شرح عقائد الصدوق): ٢٣٨، ملحق كتاب أوائل المقالات طبعة تبريز.

(٣) الشيخ جعفر سبحاني، كليات في علم الرجال: ٩٦.

النبي ﷺ من الغلو كما حُكيَ عن شيخنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد رحمه الله: «أول درجة الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ»[١]، بل ذهبوا أبعد من هذا حيث اعتبروا أن نقل غرائب الأمور عن الأئمة عليهم السلام من الغلو؛ ولذا إذا رأوا من أحد أنه نقل شيئاً غير موافق لاعتقادهم فيهم عليهم السلام جزموا بأنه من الغلو فيعتقد بكذبه وافترائه[٢] وهكذا كان «في علماء قم من يرمي بالغلو من روى شيئاً من تلكم الأسرار»[٣] وذلك لأنهم «لهم اعتقادات خاصة في الأئمة عليهم السلام بحسب اجتهاداتهم لا يجوزون التعدي عنها، ويسمون التعدي غلواً وارتفاعاً... نقل خوارق العادة عنهم، أو الإغراق في جلالتهم وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض، ارتفاعاً أو مُورِثاً للتهمة؛ وذلك أن الغلاة كان مختفين في الشيعة، ومخلوطين بهم مدلسين

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ١: ٢٣٥.

(٢) أبو هدى الكلباسي، سماء المقال في علم الرجال ١: ٥٥، وكليات علم الرجال: ٩٨.

(٣) العلامة الاميني، موسوعة الغدير ٧: ٥١، ط/مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي- قم.

أنفسهم عليهم فبأدنى شبهة كانوا يتهمون الرجل بالغلو والارتفاع»[١]

بينما يرى البعض الآخر أن لا مانع من نقل ما روي عنهم من خوارق الأمور والمعجزات والكرامات؛ ولهذا من الصعب المستصعب تحديد معنى الغلو بدقة يقتنع بها الجميع وجعله كضابطة، وميزان يقنع الجميع، ولأجل أن نقف على معنى الغلو بدقة لابد وأن نرجع إلى كلمات فقهائنا الأعلام - قدس الله أسرارهم - فهم وارثوا أنبياء الله ورسله، ولنسترشد بآراء المتقدمين والمتأخرين منهم؛ لنقف على المعنى الجامع للغلو والغلاة «فإن من الواجب تعيين الحد الذي لا يجوز في الدين أن يتجاوزه الإنسان لاستلزام الغلو والكذب تارة، والإغراء بالجهل أخرى، وبخس الحقوق الواجبة آونة، لا ما دأبت عليه أمة من الرمي بالغلو كل قائل ما لا يروقها، وتحدوها العصبية العمياء إلى التجهم أمام القول بما لا يلائم ذوقها، ومن هذا الباب أكثر ما ترمى به الشيعة الإمامية من الغلو لاعتقادهم، أو روايتهم فضائل لأئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد

---

(١) السيد علي أصغر البروجردي، طرائف المقال ٢: ٣٥٥-٣٥٦.

طفحت بها الصحاح والمسانيد، وتدفقت بنقلها الكتب والمؤلفات، حيث لم يُقِم من نَبزَهم به لأئمة الهدى وزناً تقيمه الحقيقة»[١].

معنى الغلو في كلمات فقهاء أهل البيت عليهم السلام :

أولاً: الشيخ المفيد رحمه الله :

«الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نَسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة عليهم السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام»[٢].

ثانياً: الشهيد الثاني رحمه الله :

«الغلاة: جمع غالي، وهو لغة مجاوزة الحد في شيء، والمراد هنا الذين زادوا في الأئمة عليهم السلام واعتقدوا فيهم، أو في أحدهم أنه

---

(١) العلامة الأميني، موسوعة الغدير ٧: ٩٢.

(٢) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد: ٢٣٨.

إله ونحو ذلك، ويطلق الغلو أيضاً على من قال بإلهية أحد من الناس والأنسب أن يكون هو المراد هنا»[١].

ثالثاً: المحدث محمّد باقر المجلسي رحمه الله:

«اعلم أن الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم، أو بكونهم شركاء لله في المعبودية، أو في الخلق والرزق أو أن الله تعالى حل فيهم، أو انهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات، ولا تكليف معها بترك المعاصي.

والقول بكل منها إلحاد، وكفر، وخروج عن الدين كما دلت عليه الأدلة العقلية والآيات، والأخبار السالفة وغيرها»[٢].

---

(١) الشهيد الثاني، روض الجنان: ١٦٣.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٦.

رابعاً: الشيخ جعفر الكبير آل كاشف الغطاء رحمه الله :

«الغلاة: وهم القائلون بأن واجب الوجود، وخالق الخلائق هو علي عليه السلام أو غيره، والمعروف منهم هو القسم الأول، وهؤلاء كفار وكفرهم أظهر من كفر من تقدم، لكن يدخلون أنفسهم في باسم الإسلام، وهو بريء منهم فهم متشبثون لإقرارهم بنبوة النبي صلى الله عليه وآله، وإجرائهم أحكام المسلمين على أنفسهم»[1].

خامساً: السيد بحر العلوم رحمه الله :

«وأصل الغلو - كما في الكتاب والسنة وكتب اللغة -: الارتفاع والتجاوز عن الحد، والإفراط في الشيء، وبهذا المعنى ورد المصطلح الشرعي ... وعن بعض قد يطلق على من قال بآلهية أحد من الناس»[2].

سادساً: الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر رحمه الله :

«وأما الغلاة وهم الذين تجاوزوا الحد في الأئمة عليهم السلام حتى

---

(١) الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كشف الغطاء ٤: ٣٦٥، ط/بوستان كتاب قم.

(٢) السيد محمد بحر العلوم، بلغة الفقيه ٤: ٢٠٨-٢٠٩.

ادعوا فيهم الربوبية، قيل: وقد يطلق الغلو على من قال بإلهية أحد من الناس»[١].

سابعاً: القاضي النعمان المغربي :

«الغلاة: هم الذين غلو في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، وربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا إلهاً بالخلق، وهم على طرفي الغلو والتقصير»[٢].

ثامناً: السيد نعمة الله الجزائري رحمه الله :

«الغالي بالغين المعجمة من الغلو: أما في الأئمة عليهم السلام بأن يصفهم بما لا يرضون به مما ليس فيهم، أو في كل شيء حتى الطاعات والعبادات»[٣]. تعريف ناقص

---

(١) محمد حسن الجواهري، جواهر الكلام ٦: ٥٠.

(٢) القاضي النعمان المغربي، دعائم الإسلام ١: ٤٨، ونفس التعريف ورد عن النوبختي مؤلف فرق الشيعة.

(٣) نعمة الله الجزائري، نور البراهين ١: ٢٩٠.

تاسعاً: الشيخ علي اكبر الغفاري :

«الغالي عند القدماء من يكون على اعتقاد الباطنية، أو الذي يميل إلى معتقدهم، والمراد بالباطنية أصحاب الإباحات لا الغلو في الفضائل، والشاهد على ذلك ما ذكره النجاشي في محمد بن أورمة»[١].

عاشراً: السيد البجنوردي رحمه الله :

«الغلاة: وهم الذين يؤلهون علياً أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة المعصومين، فيقولون بربوبيتهم أو حلوله تعالى - العياذ بالله - فيهم»[٢].

الحادي عشر: السيد محسن الحكيم رحمه الله :

في معرض حديثه عن نجاسة الغلاة قال: «بلا كلام ... وهو واضح جداً لو أريد منهم من يعتقد الربوبية لأمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام - كما في كشف الغطاء - لأنه إنكار لله تعالى وإثبات لغيره، فيكون كفراً بالذات ...

---

(١) علي أكبر الغفاري، دراسات في علم الدراية: ١٥٣.

(٢) السيد البجنوردي، القواعد الفقهية ٥: ٣١٥.

أما لو أريد منهم من يعتقد حلوله تعالى فيهم، أو في أحدهم - كما هو الأظهر عند شيخنا الأعظم رحمه الله - فالنجاسة مبنية على أن إنكار الضروري كفر تعبدي ...

وكذا الحال لو أريد من الغلو تجاوز الحد في صفات الأنبياء والائمة عليهم السلام مثل اعتقاد أنهم خالقون، أو رازقون، أو لا يغفلون، أو لا يشغلهم شأن عن شأن، أو نحو ذلك من الصفات؛ ولذا حكي عن ابن الوليد: أن نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله أول درجة الغلو»[1].

الثاني عشر: الإمام الخميني رحمه الله :

«وأما الغلاة فإن قالوا بإلهية أحد من الأئمة عليهم السلام مع نفي إله آخر أوإثباته، أو قالوا بنبوّته فلا إشكال في كفرهم ... وكالاعتقاد بأن الله تعالى فوض أمر الخلق مطلقاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام فهو تفويض الله تعالى إليه خالق ما يُرى وما لا يُرى، ورازق من ورى، وأنه محيي ومميت إلى غير ذلك من الدعاوي الفاسدة»[2].

---

(١) السيد محسن الحكيم، مستمسك العروة الوثقى ١: ٣٨٦.

(٢) الإمام الخميني، كتاب الطهارة ٣: ٣٣٩-٣٤٠.

الثالث عشر: السيد الخوئي رحمه الله :

«الغلاة على طوائف: فمنهم من يعتقد الربوبية لأمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فيعتقد بأنه الرب الجليل، وأنه الإله المجسم الذي نزل إلى الأرض ... ومنهم من يُنسب إليه الاعتراف بألوهيته سبحانه إلا أنه يعتقد أن الأمور الراجعة إلى التشريع والتكوين كلها بيد أمير المؤمنين أو أحدهم عليهم السلام، فيرى أنه المحيي والمميت، وأنه الخالق والرازق، وأنه الذي أيد الأنبياء السالفين سراً وأيد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جهراً ...

ومنهم من لا يعتقد بربوبية أمير المؤمنين عليه السلام، ولا بتفويض الأمور إليه، وإنما يعتقد أنه عليه السلام وغيره من الأئمة الطاهرين عليهم السلام ولاة الأمر، وأنهم عاملون لله سبحانه، وأنهم أكرم المخلوقين عنده فينسب إليهم الرزق والخلق ونحوهما - لا بمعنى إسنادها إليهم عليهم السلام حقيقة؛ لأنه يعتقد أن العامل فيها حقيقة هو الله - بل كإسناد الموت إلى ملك الموت والمطر إلى ملك المطر، والإحياء إلى عيسى عليه السلام... ومثل هذا الاعتقاد غير مستتبع للكفر، ولا هو إنكار للضروري فعد هذا القسم من أقسام الغلو نظير ما نقل الصدوق

رحمه الله عن شيخه ابن الوليد: أن نفي السهو عن النبي صلى الله عليه وآله أول درجة الغلو»[١].

الرابع عشر: السيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله :

«إن الغلو تارة يكون بلحاظ مرتبة الألوهية، وأخرى بلحاظ مرتبة النبوة، وثالثة: بلحاظ شؤون أخرى من الشؤون المتصلة بصفات الخالق تعالى وأفعاله ... وكل ذلك كفر»[٢].

الخامس عشر: العلامة محمّد حسين الطباطبائي رحمه الله :

«وبالجملة وضعهم بعض أنبيائهم، وأحبارهم، ورهبانهم موضع الربوبية، وخضوعهم لهم بما لا يُخضع بمثله إلا لله سبحانه غلو منهم في دينهم ينهاهم الله عن ذلك بلسان نبيه صلى الله عليه وآله.

وتقيد الغلو في الدين بغير الحق - ولا يكون الغلو إلا كذلك - إنما هو للتأكيد وتذكير لازم المعنى مع ملزومه، لئلا يذهل

---

(١) السيد الخوئي، التنقيح في شرح العروة الوثقى ٣: ٧٣-٧٥.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، بحوث في شرح العروة الوثقى ٣: ٣٨٥، ط/المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر.

عنه السامع، وقد ذهل حين غلا، أو كان كالذاهل»[١].

السادس عشر: السيد محمد رضا الگلپايگاني رحمه الله :

«الغلاة وهم الذين يؤلهون أمير المؤمنين عليه السلام، أو أحداً من الأئمة، وبعبارة أخرى أنهم الذين تجاوزوا الحد في الأئمة عليهم السلام المعتقدون بألوهيتهم أو نبوتهم»[٢].

ويقول رحمه الله: «أما الغلاة: فهم الذين يغلون في علي عليه السلام ويقولون إنه - والعياذ بالله - هو الله، أو أن الله قد فوض أمور الخلق: من الخلق، والإرزاق، والإحياء، والإماتة إليه، ولا شك أن من اعتقد هذا فهو كافر»[٣].

وإنما ذكرنا هذا القدر من كلمات فقهائنا العظام، ومراجعنا الكرام؛ لنثبت بالدليل القاطع، والبرهان الساطع بطلان الدعاوى الظالمة التي درج عليها الكثير من الكتاب الذين نسبوا الغلو إلى

---

(١) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٦: ٧٧.

(٢) السيد محمد رضا الگلپايگاني، نتائج الأفكار: ١٩٧.

(٣) السيد محمد رضا الگلپايگاني، تقريرات الحدود والتعزيرات ٢: ٧٤.

الشيعة زوراً وبهتاناً، والسبب في ذلك: أنهم لم يأخذوا المعلومات من مصادرها ولم يراجعوا ما ينسب إلى أتباع أهل البيت السائرين على نهجهم من تهم وأباطيل لا أساس لها من الصحة، وليس لها عين ولا أثر في مصادرهم الصحيحة إلا ما دسه أعداء الإسلام من الغلاة، والذين أعلن أئمة الهدى عليهم السلام البراءة منهم واللعنة عليهم وحرموا مجالستهم ومصاحبتهم، ومؤاكلتهم، ومشاربتهم، ومصافحتهم و... بل أمروا بقتل بعضهم كما في قصة فارس بن حاتم، وسيأتي تفصيل ذلك في طيات بحثنا هذا إن شاء الله تعالى.

ومن خلال ما تقدم من كلمات فقهائنا يتبين أن الغلو ينحصر بتجاوز الحدود العقائدية التي أقرها الشرع والعقل والوجدان ويمكن أن يتضح معناه بدقة في النقاط التالية:

١- تأليه المخلوق والارتفاع به إلى مستوى الألوهية والربوبية قولاً أو فعلاً، أو اعتقاداً، كما غلت اليهود في عزير عليه السلام وغلت النصارى في ابن مريم عليه السلام كما جاء صريحاً في كتاب الله الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

وجاء النهي الصريح عن الغلو قاطعاً لا تردد فيه كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَـٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَـٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (النساء: ١٧١).

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧).

وكما غلت بعض الفرق الضالة في أمير المؤمنين عليه السلام، أو بعض أبنائه، فقد ظهرت فرقة قالت بذلك سميت بالمخمسة وخلاصة عقيدتهم المفتعلة الفاسدة أن سلمان الفارسي، والمقداد وأبا ذر، وعمار بن ياسر، وعمرو بن أمية الضمري رضي الله عنهم هم الموكلون

بمصالح العالم - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [١] - بل كل من قال بألوهية أحد من الناس فقد غلا وكفر.

٢- نفي الحدوث عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام أو عن أي أحد من المخلوقين، أو إثبات القدَم له، أو إضافة الخلق، والرزق، والموت والحياة، والمعافاة، أو ما إلى ذلك من الشؤون الخاصة بالله دون سواه مستقلاً عن الله ومتفرداً بنفسه.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (لقمان: ١١).

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس: ٣١).

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ

---

(١) راجع فهرست الشيخ الطوسي رحمه الله: ١١٧، رقم ٣١٩، وخاتمة مستدرك الوسائل للميرزا النوري ١: ١٦٣.

هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ:٢٤).

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۝ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ۝ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾(الواقعة :٦٢-٧٢).

في كل هذه الآيات: تأكيد بأن إثبات الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة... وما إلى ذلك من الشؤون الخاصة بالله تبارك وتعالى ونفيها عمن سواه فكل من نسب الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة إلى غير الله تعالى مستقلاً عنه، ومتفرداً بنفسه سواء كان نبياً، أو إماماً وصياً، أو مَلكاً فهو من الغلاة.

٣- ومن الغلو: القول بأن الله تعالى تفرد بخلق النبي والأئمة عليهم السلام خاصة من غير طينة آدم، وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه، وأوكل تدبيره إليهم «واستدلت الشيخية على ذلك بقولها: بما أن الله واحد فإن مخلوقه واحد أيضاً، وهذا المخلوق الواحد كان

مع الله وكائن وسيبقى معه، وهو مثل الله قديم وأزلي، وأن الرزق والخلق، والحياة، والممات، والتدبير، والتقدير، وكل ما يحدث في الوجود ليس فعل الله، وإنما هو فعل ذلك المخلوق، وهو عبارة عن النور، وسموا ذلك (الحقيقة المحمدية) »[١] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤- ومن الغلو القول بنبوة أحد بعد النبي ﷺ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «من قال إنا أنبياء فعليه لعنة الله، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله»[٢].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام عن أبي بصير: «يا أبا محمد... أبرأ ممن يزعم إنّا أنبياء. قلت: برئ الله منه»[٣].

٥- الاعتقاد بأن الله تعالى حل في أحد من خلقه، أو اتحد بهم، أو أن روح الإمام حلت في أحد بعد وفاته .كما ذهب بيان بن سمعان النهدي - عليه لعائن الله - الذي قال بألوهية علي عليه السلام وأن

(١) الشيخ محمد الخالصي، كتاب علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات.

(٢) الشيخ الطوسي، إختيار معرفة الرجال ٢: ٥٩٠، وبحار الأنوار ٢٥: ٢٩٦.

(٣) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٩٧.

جزءاً إلهياً حل فيه متحداً بناسوته، ثم من بعده في ابنه محمد بن الحنفية ﷺ ثم في أبي هاشم ﷺ ولد محمد بن الحنفية، ثم من بعده في بيان.[١]

٦- القول بتناسخ الأرواح، ويراد به (رد الروح إلى بدن غير البدن الأول) وقد قال الغلاة: إن الأرواح تتناسخ من بدن شخص إلى شخص آخر، وزعموا «أن الأنفس لم تزل تتكرر في الصور والهياكل، لم تحدث، ولم تفن، ولم تعدم، وأنها باقية غير فانية، وهذا من أخبث قولٍ وأبعده من الصواب، وشنع به الناصبة على الشيعة ونسبوهم به إلى الزندقة»[٢].

«إن أول من ابتدع هذه الفكرة هو عبد الله بن الحارث المدائني - عليه لعائن الله - استناداً إلى بعض الآيات والروايات، وتدور هذه الفكرة حول انتقال الروح في أجسام عديدة بحسب قربها وبعدها عن الخير، فالكفار تنتقل أرواحهم إلى أجساد الحيوانات المشوهة

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٧١.

(٢) المصدر نفسه ٦: ٢٥٢.

المذمومة، والمؤمنون تنتقل أرواحهم إلى أجساد طاهرة، فهذه حالهم إلى أبد الآبدين. وبناءاً على هذه المقولة فإن استقرار الأرواح في أحد الجسدين يعد عاقبة الصالحين والطالحين فلا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة»[١].

وواضح من هذا القول الصريح لشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله أن ذلك بدعة وكفر وخروج من الإسلام، لأنه إنكار لأصل من أصول الدين وهو المعاد. ومن قال فيه فهو كافر بدين الله، خارج من زمرة المؤمنين، ولكن العجب العجاب أن البعض ينسب هذا القول إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام زوراً وبهتاناً في الوقت الذي صرح الإمام الرضا عليه السلام حين سأله المأمون عن القائلين بالتناسخ. قال عليه السلام: «من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم، يكذب بالجنة والنار»[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام في معرض جوابه لزنديق حين سأله عمن قال بتناسخ الأرواح، قال: كما عن هشام بن الحكم أنه سأل

---

(١) الشيخ الطوسي، عدة الأصول ٢: ٤٩٣.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ١٣٦.

الزنديقُ أبا عبد الله عليه السلام فقال: «أخبرني عمن قال: بتناسخ الأرواح من أي شيء قالوا ذلك؟ وبأي حجة قاموا على مذاهبهم؟ قال عليه السلام:

إن أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين، وزينوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات، وزعموا أن السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف، وأن مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين بحجة من روى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته، وأنه لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه، وولوجه في قالب آخر، فإن كان محسناً في القالب الأول أعيد في قالب أفضل منه حسناً في أعلى درجة من الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا، أو هوام مشوهة الخلقة، وليس عليهم صوم، ولا صلاة، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته، وكل شيء من شهوات الدنيا مباح لهم، من فروج النساء، وغير ذلك من [نكاح] الأخوات، والبنات، والخالات، وذوات البعولة، وكذلك الميتة، والخمر، والدم، فاستقبح مقالتهم كل الفرق، ولعنتهم كل الأمم فلما سُئلوا الحجة زاغوا وحادوا، فكذب مقالتهم التوراة،

ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أن إلههم ينتقل من قالب إلى قالب، وأن الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم، ثم هلم جرا...»[١].

وقد وصف الشيخ المفيد رحمه الله هؤلاء بقوله: «وهؤلاء التناسخية هم الغلاة الذين لا صلة لهم أصلاً بمذهب المسلمين من الشيعة وأهل السنة، وإنما كانوا يسترون أنفسهم تحت ستار التشيع وغيره، تمويهاً وترويجاً لأغراضهم الفاسدة»[٢].

أفبعد هذه النصوص الصريحة التي صدرت عن أئمة الهدى وعن الفقهاء العظام يُرمى الشيعة بالغلو؟ كما فعل أعداء أهل البيت عليهم السلام قاتلهم الله أنى يؤفكون.

٧- ومن الغلو القول بأن النبي والأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب علماً استقلالياً عن الله تعالى لا إخباراً وإنباء منه تعالى لنبيه، وبدوره أنبأهم بذلك، يقول الشيخ المفيد:

---

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٧٨-٧٩، ط/منشورات الشريف الرضي.

(٢) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: ٧٤، طبعة تبريز.

أقول: «إن الأئمة من آل محمد ﷺ قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد، ويعرفون ما يكون قبل كونه، وليس ذلك بواجب في صفاتهم، ولا شرطاً في إمامتهم، وإنما أكرمهم الله تعالى به وأعلمهم إياه للطف في طاعتهم، والتمسك بإمامتهم، وليس ذلك بواجب عقلاً ولكنه وجب لهم من جهة السماع، فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو مُنكر بَيّن الفساد؛ لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذ عنهم من المفوضة، ومن انتمى إليهم من الغلاة»[1].

وما أكده الشيخ المفيد نص عليه القرآن، والسنة المطهرة؛ ولحساسية الموضوع ولأهميته، وما وقع فيه من اختلاف لا بد من شيء من التفصيل فيه، وما يجب أن نوضحه أن الإيمان بالغيب من العقائد الإسلامية الأساسية، التي يجب الاعتقاد بها بل اليقين بها، وهذا ما أكده القرآن الكريم كما في آيات كثيرة بلغ تعدادها ما

(١) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: ٧٧.

يقرب من خمسين آية بلفظ الغيب نذكر منها تبركاً: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٢-٤٤).

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (فاطر:٣٨).

معنى الغيب :

الغيب خلاف الشهود والحضور فكل ما لا يقع عليه الحس ـهو الله سبحانه وتعالى، وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، ومنه الوحي وهو الذي أشير إليه بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (البقرة:٤).

ومن الغيب عالم الملائكة، والبرزخ، وعالم الآخرة بما فيه من النشر والحشر والحساب والثواب والعقاب، ويدخل ضمن الغيب الإخبارات الغيبية التي أوردها القران الكريم كقصة نوح، وآدم وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ومريم عليها السلام وأقوامهم التي عبر عنها القرآن الكريم بـ﴿ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾[1]، فكل هذه الأمور لا يمكن إدراكها بالحس، ويقابلها الشهود: وهو كل ما يمكن إدراكه بالحواس مباشرة أو غير مباشرة؛ ولذا ليس من الغيب ما لا نراه بأعيننا المجردة كـ(الذرات) و(الميكروبات) و(الفايروسات) كما «لا يعد من الغيب ما يكتشفه العلماء والمحققون من حقائق موجودة

(١) آل عمران: ٤٤، وهود :٤٩، ويوسف :١٠٢.

في هذا العالم المليء بالأسرار والرموز، كقوة الجاذبية، وأشعة إكس (X)، وأشعة لايزر، وإن كانت لا ترى في الظاهر إلا أنها حيث ندركها بالوسائل الطبيعية، ويمكن أن يطلع عليها الناس بعد اكتشافها فهي ليست من علوم الغيب فعلاً»[1].

فعالم الغيب هو كل ما لا يستطيع الإنسان أن يتصوره إلا عن طريق الاستدلال العقلي، أو بتلقي الأخبار به من قبل المختصين به والمتسلطين عليه، كما يخبر الله الأنبياء والمرسلين، وهم يخبرون الناس به.

فالإيمان بالغيب هو الاعتقاد بوجود ما غاب عن حواسنا وهو موجود وثابت فعلاً إلا أن قصور حواس الإنسان عن إدراكه هي التي جعلته لا يراه ولا يحسه. وإنما يمكن أن يستدل عليه بعقله وتفكيره. وهنا نتسائل: هل أن علم الغيب مختص بالله تعالى أم يمكن لبعض عباده من المرسلين والأنبياء وأوصيائهم يمكن أن يعلموا الغيب أم لا؟

---

(١) السيد مجتبى اللاري، أصول العقائد ٤: ٢٠٤.

والجواب على ذلك أن الآيات الدالة على الغيب تنقسم إلى طائفتين: الأولى: ما يحصر علم الغيب بالله تبارك وتعالى، ولا يمكن لأحد أن يعلم الغيب إلا هو، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام:٥٩).

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨).

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (هود:٣١).

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٥٠).

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ (يونس:٢٠).

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل:٦٥).

فهنا في جميع هذه الآيات يظهر أن علم الغيب منحصر بالله تعالى وأنه «لا يطلع على علم الغيب بصورة مطلقة أي إنسان سوى الله تعالى ذي الوجود المطلق، والمحيط بجميع الوجود إحاطة تامة كاملة، وأن هذه العلوم - علوم الغيب - هي تحت إرادة الله تعالى فقط»[1].

الثانية: وهي الطائفة الدالة على علم بعض الأنبياء والمرسلين بالغيب بتعليم، وإيحاء ورضىً من الله تعالى كما في قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٤٤).

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٢٠٨-٢٠٩.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (يوسف:١٠٢).

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود:٤٩).

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧).

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (التكوير:١٩- ٢٤) .

هذه الآيات تدل على أن ما أخبر عنه الأنبياء من علم غيب إنما هو علم تلقوه عن الله تبارك وتعالى، وأن الله تعالى هو الذي أخبرهم كما في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[1] ما كان رسول الله ﷺ يعلمه، وإنما تلقاه عن الله تعالى؛ ولهذا فإنما

(١) كما في سور يوسف: ١٠٢، وآل عمران: ٤٤، وهود: ٤٩.

كان رسول الله ﷺ يعلمه، وإنما تلقاه عن الله تعالى؛ ولهذا فإنما يبينه الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا يدّعون فيه الاستقلالية والتفرد الذاتي، وإنما هو تعليم لهم من الله تعالى.

كما تحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن بعض استشرافات المستقبل، وأخبر ببعض الحوادث قَبل وقوعها فتصور بعض أصحابه أن ذلك إخبار بالغيب من عند نفسه؛ فقال: «لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل وكان كلبياً: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم. وإنما علم الغيب: علم الساعة، وما عَدَّدَهُ الله سبحانه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ... ﴾ الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً. فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلّمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري ، وتَضْطَمَّ

عليه جوانحي»[١].

كما كان الأئمة الطاهرون عليهم السلام يستنكرون أشد الاستنكار على من يزعم أنهم يعلمون الغيب، أو ينسب ذلك لهم فعن ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن ابن المغيرة، قال: «كنت عند أبي الحسن عليه السلام أنا ويحيى بن عبد الله بن الحسين، فقال يحيى: جعلت فداك إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب، فقال: سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت في جسدي شعرة، ولا في رأسي إلا قامت، قال: ثم قال: لا والله ما هي إلا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

وعن أحمد بن علي القمي السلولي، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان، عن عنبسة بن مصعب قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟ قال: سمعته يقول: إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه، ولا تنس! وأنك تعلم الغيب، وأنك قلت له: هو عيبة علمنا، وموضع سرنا، أمينٌ على

(١) نهج البلاغة، خطبة: ١٢٨.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٩٣، عن الكشي.

أحيائنا وأمواتنا، قال: لا والله ما مس شيء من جسدي جسده إلا يده، وأما قوله: إني قلت: أعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له»[1].

وفي الكافي عن سدير قال: «كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي، قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله دخلت أنا وأبو بصير وميسر، وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير، ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٧٩-٥٨٠، ط/مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به؟ قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا، فقال: يا سدير، ما أكثر هذا؛ أن ينسبه الله ﷻ إلى العلم الذي أُخبرك به يا سدير، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ﷻ أيضاً: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك. قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أَفهَم؟ أَمْ من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأومأ بيده إلى صدره، وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا»[1].

وعن ابن أبي عمير عن عبد الصمد بن بشير عن مصادف قال: «لما لبى[2] القوم الذين لبوا بالكوفة دخلت على أبي عبد الله عليه السلام

(١) ثقة الإسلام الكليني، أصول الكافي ١: ٢٥٧.

(٢) قال المحدث المجلسي: (قوله: لما لبى، أي قالوا: لبيك جعفر بن محمد لبيك،

فأخبرته بذلك فخر ساجداً وألزق جؤجؤه بالأرض، وبكى وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: بل عبد لله قن داخر، مراراً كثيرة، ثم رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته. فندمت على إخباري إياه فقلت: جعلت فداك، وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف، إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره، ولو سكَتُّ عما قال فيَّ أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري»[1].

وعن ابن أبي عمير عن شعيب عن أبي بصير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه الصلاة والسلام: إنهم يقولون، قال: وما يقولون؟ قلت: يقولون: يعلم قطر المطر، وعدد النجوم، وورق الشجر، ووزن ما في البحر، وعدد التراب، فرفع يده إلى السماء، وقال: سبحان الله سبحان الله لا والله ما يعلم هذا إلا الله»[2].

كما يلبون لله كما سيأتي في الأخبار) وفي كتاب رجال الكشي: ٢: ٥٨٨ (لما أتى القوم الذين أتوا بالكوفة)

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٥: ٢٩٤.

وحين قيل للأمام الصادق عليه السلام أن أبا الخطاب يقول: أنك قلت له أنك تعلم الغيب، قال عليه السلام: «وأما قوله إني قلت أعلم الغيب: فوالله الذي لا اله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له قال: وقدّامه جويرية سوداء تدرج. قال: لقد كان مني إلى أم هذه، أو إلى هذه كخطة القلم فأتتني هذه، فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني.

ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً بيني وبينه فأصابه السهل والشَّرَبَّ[1]، وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشَّرَبَّ، وأصابه الجبل»[2].

ففي هذه النصوص القرآنية ونصوص السنة الشريفة إن علم الغيب من مختصات الله تعالى، و«لا يطلع على علم الغيب بصورة مطلقة أي إنسان، سوى الله ذي الوجود المطلق، والمحيط بجميع الوجود إحاطة تامة كاملة، وأن هذه العلوم - علوم الغيب - هي

(١) الشرب: مفردة مشارب وهي الأرض اللينة الدائمة النبات.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٠-٥٨١، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ١٤: ٢٤٦.

تحت إرادة الله تعالى فقط»[١].

وقال المحقق المجلسي: «إن نفي علم الغيب عنهم معناه أنهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحي أو إلهام، وإلا فظاهر أن عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء من هذا القبيل»[٢].

وعلق العلامة الزنجاني رحمه الله على أوائل المقالات للشيخ المفيد رحمه الله بقوله: «أقول: المفروض ثبوت علم الغيب للائمة فعلاً، ولكن بقيود أربعة وهي:

أولاً: إنه ليس شرطاً في إمامتهم، بل لطف في طاعتهم.

وثانياً: إنه بالسماع و النقل لا بالعقل . أي دليل

وثالثاً: إنه ليس ذاتياً ومستقلاً بل بإعلام الله تعالى لهم .

ورابعاً: إنه لا يطلق عليه علم الغيب؛ لظهوره في العلم الاستقلالي لا ما كان بإعلام الله تعالى.

والأول والثاني إنما يخالف فيه المفوضة وبئو (نوبخت) فقط،

---

(١) السيد مجتبى اللاري، أصول العقائد في الإسلام ٤: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٦: ١٠٣.

والثالث إنما يخالف فيه الغلاة فقط لا غيرهم، والرابع يخالف فيه الغلاة والمفوضة والإخباريون والعوام من الشيعة فان هؤلاء يطلقون علم الغيب بما عند الإمام لفظاً، وان اختلفوا معنى فان الغلاة يقصدون علمه عليه السلام استقلالاً ومن عنده، وبقية هؤلاء يقصدون العلم المأخوذ من عند الله بالتبع وبتعليم الله تعالى»[1].

ونختم هذا البحث بأجمع رواية، وأعمّها، وأشدها لهجة، وهي التوقيع المروي عن صاحب الأمر والزمان عجل الله فرجه كما في الاحتجاج:

«يا محمد بن علي: تعالى الله وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه، ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تبارك أسماؤه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم، ونوح وإبراهيم، وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين

(١) الشيخ المفيد، أوائل المقالات: ٣١٣. ط/دار المفيد للطباعة والنشر- بيروت.

محمد رسول الله، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري، عبيد الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه: ١٢٤-١٢٦).

يا محمد بن علي قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه. فأُشهد الله الذي لا إله إلا هو، وكفى به شهيداً، ورسوله محمداً ﷺ، وملائكته، وأنبياءه، وأولياءه عليهم السلام وأُشهدك وأُشهد كل من سمع كتابي هذا، أني بريء إلى الله، وإلى رسوله ممن يقول: إنّا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا... »[1].

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج ٢: ٢٤٥-٢٤٦.

أمِنَ الغلو ذكر الفضائل؟

من العجب العجاب أن يرميَ البعض الشيعة بالغلو؛ لأنهم يذكرون فضائل أئمتهم، ويتقربون بها إلى الله، وعلى هذا درج بعض الكتاب من الذين لا يعرفون مكانة أهل البيت عليهم السلام عند الله عز وجل حتى اعتبروا ذكر أي فضيلة في علم، أو عمل، أو عبادة، أو فكر، أو ذكر كرامة، أو معجزة غلواً.

ولا أدري هل أن هؤلاء المنكرين غافلون، أو متغافلون؟ أم أن العصبية العمياء، والحمية الشيطانية سيطرت على عقولهم، وعطلت تفكيرهم فأنستهم آيات الكتاب، وأحاديث السنة الصادحة بذكر فضائل الأنبياء، والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وأوصيائهم الطاهرين، وأولياء الله المخلصين، وعباده الصالحين في ذكر فضائلهم وكراماتهم كمحاسن أخلاقهم في صبرهم وابتلاءاتهم وتحدياتهم لطغاة عصرهم، وما حققه الله على أيديهم من معاجز وكرامات وخوارق الأمور مما لم يألفه الناس، ولم يعرفوا أسراره وهاك بعض ما ذكر الله تعالى في ذكر فضائل أنبيائه ورسله.

يقول تعالى في مدح نبيه الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤).

ويصف خليله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود:٧٥).

ويقول تعالى في إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (مريم:٥٤).

وفي أيوب عليه السلام يقول تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص: ٤٤).

وفي داود عليه السلام يقول تعالى: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (ص:٣٠).

وفي موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة:٦٠). ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الأعراف:١١٧).

وفي عيسى عليه السلام يقول تعالى: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩).

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (المائدة: ١١٠).

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٨٧). ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (البقرة: ٢٥٣).

هذا غيض من فيض في ذكر فضائل أنبياء الله ورسله جاءت في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. أيصح بعد هذا أن يعترض معترض على ذكر فضائل أولياء الله من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً !

وأما في السنة الشريفة فيكفي أن نرجع إلى أمهات المصادر الحديثية عند أهل السنة فضلاً على ما ورد في مصادر الشيعة لنجد في كل تلك المصادر التي سميت بالصحاح الستة أو التسعة، باباً أو كتاباً للمناقب، و الفضائل، سواء كان لرسول الله ﷺ أو لأهل بيته الطاهرين، أو لأصحابه المخلصين.

وإن شئت أن يطمئن قلبك فارجع إلى كتاب المناقب في صحيح مسلم، وفي صحيح البخاري وفي كنز العمال للمتقي الهندي، الذي استوعب مجلدين من الكتاب هما الثالث عشر والرابع عشر، ومجمع الزوائد للهيثمي، وغيره من عشرات المصادر لأهل السنة. وقد ورد فيها في فضائل أهل بيت العصمة والطهارة الكثير الكثير مما يستوعب عشرات المجلدات. أفبعد هذا يمكن أن

يقال: أن ذكر فضائلهم وكراماتهم يُعد من الغلو! وقد يقال: إن الكثير مما يذكر يُشَم منه رائحة الغلو، أو يدل عليه؟ ونقول: هذا صحيح إلى حد ما، لا على إطلاقه فقد وضع الغلاة العشرات من الروايات، ولكن أهل البيت عليهم السلام أعطوا ميزاناً لبيان الصحيح من الموضوع، والسليم من السقيم، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «إذا جاءكم منا حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالفه فاطرحوه، أو ردوه علينا»[١].

وعن الصادق عليه السلام قال: «إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه»[٢].

وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه، إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما

---

(١) الشيخ الصدوق، المقنع: ٣١٢.

(٢) الشيخ المفيد، جوابات أهل الموصل: ٤٧.

وافق كتاب الله فخذوا به، وما خالف كتاب الله فدعوه»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «كل شيء خالف كتاب الله فهو رد إلى كتاب الله»[٢].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كل شيء خالف كتاب الله عز وجل رد إلى كتاب الله والسنة»[٣].

وما اطلقه العالم بقوله عليه السلام: «اعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فردوه»[٤].

وعن أبي جعفر الثاني عليه السلام في مناظرته مع يحيى بن أكثم أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع:

«قد كثرت عليَّ الكذابة وسَتَكْثُر فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله

---

(١) الشيخ المفيد، رسالة في المهر: ٣٠.

(٢) العلامة الحلي، مختلف الشيعة ٧: ٣٥٥.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٥: ٢٧٣.

(٤) السيد عبدالله الجزائري، التحفة السنية (مخطوط): ١٦.

وسنتي فلا تأخذوا به»[١].

وقال ﷺ: «إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه، وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط»[٢].

إذن لا يمكن أن تختلط الفضائل الحقيقية التي نصت عليها السنة الشريفة بالأساطير، والخرافات، والخوارق الوهمية والمعجزات التي اختلقتها أكاذيب الغلاة ما دام الميزان موجوداً والأمر بالرجوع إليه صادراً ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ ولذا ينبغي لكل مؤمن بالله، واليوم الآخر أن يجعل كتاب الله هو الحكم في صحة ما يلقى من على المنابر، وما يكتب في الكتب والمحاضر.

ومما يلفت النظر، ويثير العجب أن يُعد ذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام من الغلو، ويعترض عليها، ولا يلتفت إلى ما ذكر في أمهات المصادر السنية من الغلو في أصحاب رسول الله ﷺ ولا يعترض

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢: ٢٢٥.

(٢) الشيخ الطبرسي، مجمع البيان ١: ٨١.

على الحديث بها، ولا تذكر بحال، ولا يقال هذا من الغلو، وإنما ينسب الغلو دائماً إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام وخُلّص أصحابهم مع أنهم عليهم السلام نددوا بالغلاة، وفندوا أباطيلهم، بل أمروا بقتل بعضهم في الوقت الذي لا نجد من الطرف الآخر من رد على ما ورد في كتب أهل السنة من المغالاة في الخلفاء الثلاثة الأُول، مما ابتدعته ألاعيب السياسة الأموية والعباسية في وضع الفضائل لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله مما يخالف كتاب الله وسنة رسوله، بل لا يقبله عقل ولا منطق. وإنما وضعت تلك الأساطير والأوهام؛ ليشغلوا الناس عن ذكر فضائل علي عليه السلام وأهل بيته التي أخفاها أعداؤه حقداً عليه، وكتمها أولياؤه خوفاً، وظهر منها ما ملأ ما بين الخافقين كما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولنقف عند بعض الفضائل التي رويت عن الخليفة الأول في كتبهم، ونذكرها بدون أن نعلق عليها، ونترك الحكم للقارئ الكريم؛ ليتأمل بها، ويقارنها بما ذكر لأهل البيت عليهم السلام من فضائل تشد الإنسان إلى الله تعالى، وتعمق إيمانه به وبرسوله، وإليك عزيزي القارئ بعض كرامات الخليفة الأول فتأمل بها :

١- عن أنس بن مالك قال:

جاءت امرأة من الأنصار فقالت: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن النخلة التي في داري وقعت، وزوجي في السفر. فقال: يجب عليك الصبر، فلن تجتمعي به أبداً. فخرجت المرأة باكيةً فرأت أبا بكر، فأخبرته بمنامها، ولم تذكر له قول النبي ﷺ فقال: اذهبي فإنك تجتمعين به في هذه الليلة. فدخلت إلى منزلها، وهي متفكرة في قول النبي ﷺ وقول أبي بكر، فلما كان الليل، وإذا بزوجها قد أتى، فذهبت إلى النبي ﷺ وأخبرته بزوجها، فنظر إليها طويلاً فجاء جبريل، وقال: يا محمد، الذي قلته هو الحق، ولكن لما قال الصديق: إنك تجتمعين به في هذه الليلة استحيا الله منه أن يجري على لسانه الكذب؛ لأنه صديقٌ فأحياه كرامة له[1].

٢- حدث عالم الأمة الشيخ يوسف الفيشي المالكي قال:

كان جبريل إذا قدم أبو بكر على النبي ﷺ وهو يحادثه يقوم إجلالاً للصديق دون غيره، فسأله النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال جبريل:

---

(١) الحلواني، نزهة المجالس ٢: ١٨٤.

أبو بكر له عليٌّ مشيخة في الأزل، وما ذاك إلا أن الله تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم، حدثتني نفسي بما طُرد به إبليس فحين قال الله تعالى: اسجدوا؛ رأيت قبة عظيمة عليها مكتوب: أبو بكر، أبو بكر مراراً وهو يقول: اسجد. فسجدت من هيبة أبي بكر فكان ما كان»[(١)].

٣- وفي خبر جاء: «إن أبا بكر كان إذا تنفس يشم منه رائحة الكبد المشوية»[(٢)].

وفي رواية أخرى: «لما مات أبو بكر الصديق ﷺ، واستخلف عمر ﷺ كان يتبع آثار الصديق ﷺ، ويتشبه بفعله فكان يتردد كل قليل إلى عائشة وأسماء ﷺ، ويقول لهما: ما كان يفعل الصديق إذا خلا في بيته ليلاً؟ فيقال له: ما رأينا له كثير صلاة بالليل ولا قيام، إنما كان إذا جنَّه الليل يقوم عند السحر، ويقعد القرفصاء، ويضع

---

(١) ذكره العبيدي المالكي في عمدة التحقيق، هامش روض الرياحين: ١١١، فقال: وحدثني شيخنا الأستاذ محمد زين العابدين البكري، بنا يقارب ما قاله الفيشي، وسمعتها من غالب مشايخنا بالأزهر.

(٢) اليافعي، مرآة الجنان ١: ٦٨.

رأسه على ركبتيه، ثم يرفعها إلى السماء، ويتنفس الصعداء، ويقول: آخ، فيطلع الدخان من فيه. فيبكي عمر، ويقول: كل شيء يقدر عليه عمر إلا الدخان.

فقال: وأصل ذلك أن شدة خوفه من الله تعالى أوجبت احتراق قلبه، فكان جليسه يشم منه رائحة الكبد المشوي، وسببه أن الصديق لم يتحمل أسرار النبوة الملقاة إليه».[1]

٤- قال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: «عُرض عليَّ كل شيء ليلة المعراج حتى الشمس، فإني سلمت عليها وسألتها عن كسوفها، فأنطقها الله تعالى، وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة، تجري حيث يريد، فأنظر إلى نفسي بعين العجب فتزل بي العجلة فأقع في البحر، فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد. والآخر يقول: صدق صدق. فأتوسل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف، فأقول: يا رب من هما؟ فيقول: الذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم. والذي يقول: صدق

(١) العبيدي المالكي، عمدة التحقيق: ٢٣٠.

صدق هو أبو بكر الصديق ﷺ»[١].

٥- وعن عمار بن ياسر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم: «يا عمار أتاني جبريل آنفاً، فقلت له: يا جبريل، حدثني بفضائل عمر في السماء، قال: لو حدثتك بفضائل عمر في السماء مثل ما لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ما نفدت فضائل عمر، وان عمر حسنة من حسنات أبي بكر، أو كما قالا»[٢].

وهاك بعضاً من كرامات الخليفة الثاني:

١- من الكرامات العجيبة للخليفة الثاني والتي أجراها الله على يد مبعوثه إلى مصر: فقد روى هبة الله الطبري قال: حدثنا محمد بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن مخلد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن قيس بن حجاج عمن حدثه، قال:

---

(١) الحلواني، نزهة المجالس ٢: ١٨٤.

(٢) عبد الله بن عدي، الكامل ٧: ٧٩، وابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ٦٨، وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٣٠ :١٢٢.

«لما فتحت مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل (بؤونة) من أشهر العجم، فقالوا: أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فقال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان ثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكر من أبويها فأرضينا أبويها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل.

فقال له عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، قال: فأقاموا (بؤونة وأبيب ومسرى) والنيل لا يجري قليلاً، ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإن الإسلام يهدم ما قبله، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا فألقها في النيل.

فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر: أما بعد فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، قال: فألقى البطاقة في

النيل فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة، وقطع الله تعالى تلك السُنَة عن أهل مصر إلى اليوم»[١]

٢- والأعظم منها ما جاء في المصدر نفسه قال: «أخبرنا علي بن محمد حدثنا الحسين، حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا أبو بكر السلمي، حدثنا عطاء بن مسلم عن العمري عن خوات بن جبير قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر فخرج عمر بالناس فصلى بهم ركعتين وخالف بين طرفي ردائه فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين، ثم بسط يديه، فقال: اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك، فما برح مكانه حتى أمطروا، فبينما هم كذلك إذا أَعراب قد قدموا فأتوا عمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين، بينما نحن في وادينا في يوم كذا وكذا، إذ أظلنا غمام، فسمعنا فيها صوتاً: أتاك الغوث أبا حفص، أتاك الغوث أبا حفص»[٢].

---

(١) هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، كرامات أولياء الله: ١١٨، قصة: ٦٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٣، قصة: ٦٩.

ومن كرامات الخليفة عثمان ما رواه صاحب كرامات الأولياء أيضاً:

أخبرنا محمد بن رزق الله قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر، قال: حدثنا بشار بن موسى الخفاف، قال: حدثنا بكر بن أيوب عن أبي قلابة قال: «كنت في رفقة بالشام فسمعت رجلاً يقول: يا ويله من النار، فقمت إليه فإذا رجل مقطوع اليدين من المنكبين والرجلين من الحقو أعمى منكب لوجهه، فقلت: يا عبد الله ما لك؟ قال: كنت فيمن دخل على عثمان يوم الدار، فلما دنوت منه خرجت امرأته فأقبلتُ عليها فلطمتها فنظر إليَّ عثمان فقال: سلب الله يديك ورجليك، وأعمى بصرك، وأدخلك نار جهنم، فأخذتني رعدة شديدة فخرجت هارباً من دعوته، فلما صرت بموضعي هذا ليلاً أتاني آت فصنع بي ما ترى، فقد استجاب الله فما بقي من دعائه إلا النار، قال أبو قلابة: فهممت أن أطأه برجلي، فقلت: بعداً لك وسحقاً»[1].

(١) هبة الله بن الحسن الطبريّ اللالكائي، كرامات أولياء الله: ١٢٤، قصة: ٧١.

ومن أعجب الكرامات ما روي في مناقب أحمد كما نقل ابن الجوزي: عن أبي بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي، وكان شيخاً صالحاً قال: «كان قد جاء في بعض السنين مطر كثير جداً قبل دخول رمضان بأيام، فنمت ليلة في رمضان فأُريت في منامي كأني قد جئت على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره فرأيت قبره قد التصق بالأرض حتى بقي بينه وبين الأرض مقدار ساف أو سافين، فقلت: إنما تم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث، فسمعته من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحق ﷻ لأنه ﷻ قد زارني، فسألته عن سرِّ زيارته إيّاي في كل عام، فقال ﷻ: يا أحمد، لأنك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحاريب. فأقبلت على لحده أُقبّله ثم قلت: يا سيدي ما السرُّ في أنه لا يقبّل قبر إلا قبرك؟ فقال لي: يا بني ليس هذا كرامة لي، ولكن هذا كرامة لرسول الله ﷺ لأن معي شعرات من شعره ﷺ ألا ومن يحبني لم لا يزورني في شهر رمضان»[1]

---

(١) ابن الجوزي، مناقب أحمد: ٦٠٧، باب: ٩٢.

هذه ذرة من بيادر الفضائل والكرامات التي وضعت في مناقب وفضائل الخلفاء الثلاثة، والتي أُفرد لها أبواب خاصة في كتب الحديث والتراجم والسير، بل أُلف فيها كتب[1]، والتي لا زال يتناقلها الكُتّاب، والخطباء دون أن يستنكر عليهم أحد، ولم يعتبروها غلواً، بل قيل في بعضها: إنه حديث حسن موثوق لا ريب فيه، ولا نريد أن ندين بها أحداً إلا واضعيها، ونحن على يقين أن الواعين من المذاهب الأخرى لم يقبلوها، ولكن نقول: لماذا عندما تذكر فضائل أهل بيت النبوة والوحي تتعالى الأصوات، ويُرمى شيعتهم بالغلو، وكأن السياسة الأموية لا تزال هي الحاكمة، ولا نريد أن نبرر ما يتناقله بعض المحسوبين على مذهب أهل البيت ممن اتخذوا الحديث عنهم مهنة تجارية يرتزقون بها، ويعملون على جمع الناس حولهم بالحديث في قصص وخوارق وضعها الغلاة، وقد سمى أهل البيت هذا الصنف الناس (المستأكلين الناس بنا) قال أبو عبدالله عليه السلام: «الشيعة ثلاث: محبٌّ وادٌّ، فهو منا ومتزين بنا،

(١) راجع كتاب كرامات الأولياء.

ونحن زين لمن تزين بنا. ومستأكل بنا الناس، ومن إستأكل بنا افتقر»[١].

ونريد هنا أن نؤكد أن «الغلو في الدين موجود في أتباع جميع الأديان، ومنهم أتباع الدين الإسلامي، وكما أن الغلو موجود في كل الأزمنة على مدار التأريخ البشري فإنه موجود أيضاً في الوقت الحاضر، وهو ليس مقصوراً على أتباع الإسلام كما يريد خصومه أن يوهموا الآخرين، ولكنه أصبح الآن ظاهرة عالمية بل وتعددت أشكاله وأنواعه ودوافعه، واكتسب أهمية كبرى شغلت أذهان رجال العلم والفكر والسياسة والأمن في البحث عن أسبابه ودوافعه للعمل على علاجه والتحقق من آثاره»[٢].

إذن لما كان الغلو لا ينحصر في دين ولا مذهب، وإنما هو موجود في الجميع، وفي كل زمان، فلماذا يُرمى أتباع أهل البيت عليهم السلام بالغلو؟ وهم قد تبرئوا منه، ومن دعاته، ولعنوهم على رؤوس

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ١٠٣.

(٢) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر، من المقدمة.

الأشهاد، كما أنه موجود حتى في المذاهب السنية أيضاً، كما تدل عليه أحاديث المناقب والفضائل التي ذكرنا قليلاً منها، وأكد ذلك بعض كتّابهم قائلاً: «السنة فرقة من أكبر الفرق الإسلامية، ويطلق عليها (أهل الحديث)» ويلقبون: «بالحشوية، والمخلوقية، واللفظية والنصفية، والفاضلية، والصاعدية، والساوية، والمالكية، ويجمعهم القول: بأن الإيمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[١]... وبالرغم من ذلك إن الغلو قد امتد إلى هذه الفرقة (أهل السنة) أيضاً، وقد برز ذلك من خلال فرقة الصاعدية «أصحاب ابن صاعد يجيزون خروج أنبياء بعد نبينا ﷺ؛ لأنه روي [عن النبي ﷺ:] : لا نبي بعدي إلا ما شاء الله»[٢]

ويضيف ابن حزم غلواً آخر فيقول: «وآخرون كانوا من أهل السنة فغلوا، فقالوا: قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام وإن من عرف الله حق معرفته سقطت

(١) العلامة المطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتأريخ ٥: ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه.

عنهم الأعمال والشرائع»[١].

من الظلم الفاحش إذن أن يتهم الشيعة بالغلو بناء على ما تقدم من مواقف الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم، وبناء على فتاوى فقهائهم الذين أفتوا بنجاسة الغلاة، وكفرهم كما سيأتي تفصيله في بحث قادم إن شاء الله، وان ما تذرع به المشنعون من أعمال العوام باسم التشيع ومحبة أهل البيت عليهم السلام مما يخالف الشريعة الغراء نصاً وروحاً ليس بحجة؛ لان هذه العادات والتقاليد لا يخلو منها دين ولا مذهب أبداً حتى فيما يسمى بالبلدان المتقدمة، ولا سيما إذا نظرنا إلى موقف علماء الشيعة السلبي من تلك العادات والتقاليد التي ألصقت بالإسلام في الفترات المظلمة التي عزلت السياسةُ الغاشمة أئمة الهدى عليهم السلام وعلماء الأمة الواعين عن قواعدهم الشعبية، واضطهادهم بالمراقبة والسجن والنفي والقتل كما جرى ذلك في العراق، ومصر، وإيران قبل انتصار الثورة المباركة بقيادة الأمام الخميني رحمه الله.

---

(١) د.عبد الله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية: ١٢٤.

الفصل الثالث :

أسباب الغلو

بعد أن اتضح لنا معنى الغلو، لابد وأن نقف على أسبابه لنفهم أبعاده الفكرية، والنفسية، والسياسية، وما ينطوي عليه من دسائس وأحابيل، ومؤامرات؛ لضرب الإسلام في الصميم.

إن أهم سبب في اختلاق الغلو وترويجه هو الجهل، ومنه تتفرع بقية الأسباب. الجهل بسر الوجود، وعلة الإيجاد، وبعبارة أوضح: الجهل بأصول العقائد الإسلامية، والأحكام الإلهية، والأهداف الرسالية. وقد أشار الإمام الرضا عليه السلام إلى هذه الحقيقة بقوله:

«إن هؤلاء الضلال الكفرة ما أُتوا إلا من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم حتى اشتد إعجابهم بها، وكثر تعظيمهم لما يكون منها، فاستبدوا بآرائهم الفاسدة، واقتصروا على عقولهم المسلوك بها غير سبيل الواجب حتى استصغروا قدر الله، واحتقروا أمره، وتهاونوا

بعظيم شأنه، إذ لم يعلموا أنه القادر بنفسه، الغني بذاته التي ليست قدرته مستعارة، ولا غناه مستفاداً، والذي من شاء أفقره، ومن شاء أغناه، ومن شاء أعجزه بعد القدرة، وأفقره بعد الغنى.

فنظروا إلى عبد قد اختصه الله بقدرته؛ ليبين بها فضله عنده، وآثره بكرامته؛ ليوجب بها حجته على خلقه؛ وليجعل ما آتاه من ذلك ثواباً على طاعته، وباعثاً على اتباع أمره، ومؤمناً عباده المكلفين من غلط من نصبه عليهم حجة، ولهم قدوة، وكانوا كطلاب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله، ويأملون نائله، ويرجون التفيؤ بظله، والانتعاش بمعروفه، والانقلاب إلى أهلهم بجزيل عطائه الذي يعينهم على كَلب الدنيا، وينقذهم من التعرض لدنيّ المكاسب، وخسيس المطالب.

فبينا هم يسألون عن طريق الملك ليترصدوه، وقد وجهوا الرغبة نحوه، وتعلقت قلوبهم برؤيته إذ قيل: سيطلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله، فإذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقه، ومن الإقرار بالمملكة واجبه، وإياكم أن تسموا باسمه غيره، وتعظموا سواه كتعظيمه، فتكونوا قد بخستم الملك حقه، وأزريتم عليه، واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته.

فقالوا: نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا، فما لبثوا أن طلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمها إليه سيده، ورجل قد جعلهم في جملته وأموال قد حباه بها فنظر هؤلاء وهم للملك طالبون، واستكبروا ما رأوه بهذا العبد من نِعم سيده، ورفعوه عن أن يكون من هو المنعم عليه بما وجدوا معه عبداً فأقبلوا يحيونه تحية الملك، ويسمونه باسمه ويجحدون أن يكون فوقه ملك، أو له مالك.

فأقبل عليهم العبد المُنْعَم عليه، وسائر جنوده بالزجر والنهي عن ذلك والبراءة مما يسمونه به، ويخبرونهم بأن الملك هو الذي أنعم عليه بهذا واختصه به، وإن قولكم ما تقولون يوجب عليكم سخط الملك وعذابه، ويفوتكم كل ما أملتموه من جهته، وأقبل هؤلاء القوم يكذبونهم، ويردون عليهم قولهم.

فما زال كذلك حتى غضب عليهم الملك لما وجد هؤلاء قد ساووا به عبده، وأزروا عليه في مملكته، وبخسوه حق تعظيمه، فحشرهم أجمعين إلى حبسه، ووكل بهم من يسومهم سوء العذاب.

فكذلك هؤلاء وجدوا أمير المؤمنين عبداً أكرمه الله؛ ليبين

فضله، ويقيم حجته، فصغر عندهم خالقهم أن يكون جعل علياً له عبداً، وأكبروا علياً عن أن يكون الله ﷻ له رباً، فسمّوه بغير اسمه فنهاهم هو وأتباعه من أهل ملته وشيعته.

وقالوا لهم: يا هؤلاء إن عليًّا وولده عباد مكرمون مخلوقون مدبَرون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم عليه الله رب العالمين، ولا يملكون إلا ما مَّلكهم، لا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا قبضاً ولا بسطاً، ولا حركةً، ولا سكوناً إلا ما أقدرهم عليه، وطوقهم وإن ربهم وخالقهم يجل عن صفات المُحْدَثين، ويتعالى عن نعوت المحدودين، فان من اتخذهم أو واحداً منهم أرباباً من دون الله فهو من الكافرين، وقد ضل سواء السبيل.

فأبى القوم إلا جماحاً وامتدوا في طغيانهم يعمهون، فبطلت أمانيهم وخابت مطالبهم، وبقوا في العذاب الأليم»[1].

ومن خلال هذا الحديث الشريف نفهم أن الجهل هو السبب المباشر للوقوع في شَرَك الغلو هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الإنسان يعيش الحس والمادية أكثر مما يعيش الجانب الغيبي

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٧٦-٢٧٨.

المعنوي أو الروحي؛ ولذا عندما يرى آثار نعمة الله على عبد من عباده يأخذه الانبهار والعجب، فيسند النعمة إلى المنعَم عليه، وهذا هو غاية الجهل والغفلة، والانبهار، والخروج من ولاية الخالق إلى ولاية المخلوق، ونتيجة الجهل يقع الإنسان فريسة الأحابيل السياسية والمخادعات الفكرية، والأهواء النفسية، والميول الذاتية المصلحية... وتأسيساً على ذلك يمكن أن نحدد أسباب الغلو في ثلاثة محاور.

١- المحور السياسي :

مما لا شك فيه أن الأحداث السياسية المتعاقبة، والتنافس المحموم على إشغال منصب الخلافة بعد الرسول ﷺ والعمل الجاد المخطط على المدى البعيد لإبعاد آل الرسول من الموقع الذي نصبهم الله فيه كان له أبعد الآثار في نشوء الأفكار والآراء والفرق المنحرفة عن خط الإسلام الأصيل، ومسألة الغلو مفردة واحدة لعبت الأهواء السياسية والمصالح الذاتية، دوراً مهماً في ظهورها فـ«بعد وفاة الرسول محمد ﷺ مباشرة وقع الاختلاف بين المسلمين بشأن المسؤولية الجديدة، وبهذا الشأن يقول الأشعري:

«وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة» كان هذا الاختلاف قد شمل المهاجرين والأنصار، وقد امتد هذا الاختلاف وانعكس أثره في المراحل التي تلت، حتى أن معظم الفرق الغالية استغلت موضوع الإمامة والاختلاف فيه، وتحركت من خلاله.

وفي هذا يقول سعيد نشوان: «واعلم أن أول اختلاف جرى بين الأمة بعد نبيها ﷺ اختلافهم في الإمامة يوم سقيفة بني ساعدة ... فجرى هذا الاختلاف في الإمامة بين الأمة إلى يومنا هذا فمن الناس من يقول: الإمامة في قريش خاصة، ومنهم من يقول: هي في جميع الناس». وفي ظل هذا الاختلاف ترعرعت حركة الغلو فقد وجد الغلاة في قضية الإمامة مادة خصبة للعمل بها، وتحت اسمها حتى أن الغلو اعتبر لدى البعض متعلق بموضوع الإمامة، ومرتبط بها»[1].

ومن اجتماع السقيفة انطلقت الفتن كقطع الليل المظلم؛ لأنها منطلق شر عم الأمة الإسلامية كما وصفها عمر بن الخطاب بقوله:

---

(١) د. عبدالله سلوم السامرائي، الغلو والفرق الغالية: ٣٩.

«إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، ألا وإنها كانت فلتة، إلا إن الله وقى شرها»[1].

ومن جملة الفتن بروز العناصر الكامنة التي أخفت رؤوسها في

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ١٢: ١٣٢، والسنن الكبرى للنسائي ٤: ٢٧٢، وصحيح بن حبان ٢: ١٤٨، والإستذكار لإبن عبد البر ٧: ٢٥٨، والفائق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ٣: ٥٠، وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٢: ٢٦، والمواقف للإيجي ٣: ٦٠٠، وتمهيد الأوائل للباقلاني: ٤٩٥، والعثمانية للجاحظ: ١٩٨، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٥: ٢٦٦، وامتاع الأسماع للمقريزي ١٤: ٥٦٤، والسيرة الحلبية ٣: ٤٨٤، وغريب الحديث لإبن سلام ٣: ٣٥٥، والنهاية لإبن الأثير ٣: ٤٦٧، ولسان العرب لابن منظور ٢: ٦٧، وشرح المواقف للقاضي الجرجاني ٨: ٣٥٨، والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٨: ٥٧٠، والمصنف لعبد الرزاق الصنعاني ٥: ٤٤١، ومسند أحمد ١: ٥٥، ومسند البزار ١: ١٤٢، ومجمع الزوائد للهيثمي ٦: ٥، وكنز العمال للمتقي الهندي ٥: ٦٤٩، والثقات ٢: ١٥٣، وتاريخ دمشق لإبن عساكر ٣٠: ٢٨١، وغاية المرام لعلي بن أبي علي الآمدي ٣٨٨، والملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٤، والصواعق المحرقة لإبن حجر: ٣١، والرياض النضرة للمحب الطبري ١: ١١٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٨.

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق٣٠: ٣٨١، وتاريخ الأمم والملوك ٢: ٢٣٥، وابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة: ٣٥.

عهد الرسول ﷺ فلما خلا لها الجو كشرت عن أنيابها ككعب الأحبار وغيره من العناصر اليهودية التي اندست في الإسلام وراحت تفرغ سمومها في إثارة الفتن، وغرس الشبهات، ودس الأضاليل الإسرائيلية في الفكر الإسلامي.

وجاء في المجلد السابع والعشرين من مجلة المنار للسيد رشيد رضا: «إن كعب الأحبار كان من زنادقة اليهود الذين اظهروا الإسلام والعبادة؛ لتقبل أقوالهم في الدين، وقد راجت دسائسه وانخدع به بعض الصحابة، ورووا عنه، وتناقلوا أقواله بدون إسناد إليه، وأضاف إلى ذلك: وان شر رواة هذه الإسرائيليات، وأشدهم تلبيساً وخداعاً للمسلمين: وهب بن منبه، وكعب الأحبار، فلا تجد خرافة دخلت كتب التفسير، والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوالهم، والفتن والساعة وللآخرة إلا وهي منهما»[1].

كما أخذ أعداء أهل البيت مسالك مختلفة؛ لحرف المسيرة عن النهج الإلهي؛ ولتشويش صورتها من خلال تشويه الصورة الحقيقية

---

(١) مجلة المنار: ٢٧/٥٤١-٧٨٣، نقلاً عن كتاب دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف الحسني: ٩٢.

التي أثبتها القرآن الكريم، والسنة المطهرة؛ لإبعادهم عن الساحة السياسية، وهذا ما كشفه الإمام الرضا عليه السلام حيث قال: «يا ابن أبي محمود إن مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا، كَفَّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعداءنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(الأنعام:١٠٨).

يا ابن أبي محمود إذا اخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فانه من لزمنا لزمناه، ومن فارقنا فارقناه، إن أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة: هذه نواة، ثم يدين بذلك، ويبرأ ممن خالفه، يا بن أبي محمود احفظ ما حدثتك به، فقد جمعت لك خير الدنيا والآخرة»[1].

والحديث هذا يكشف بدقة وعمق المخطط الرهيب الذي وضع من قبل أعداء أهلِ البيت عليهم السلام؛ لتشويه صورتهم الحقيقية

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ١: ٣٠٤، وبحار الأنوار للمجلسي ٢٦: ٢٣٩.

على مختلف الأصعدة الفكرية والسياسية والاجتماعية، ولا نعرف أخبث وأخطر من هذا الأسلوب، فهم يضعون الأحاديث في فضائل وهمية يختلقونها من عند أنفسهم، ويسندوها إلى أهل البيت؛ ليغلوا فيهم، ويخرجوهم عن حدود الخليقة البشرية، ويرفعوهم إلى مستوى الألوهية والربوبية بتحريف الكلمة عن مواضعها. كما قال تعالى في وصف المحرفين: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾(النساء:٤٦).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة:١٣).

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ

شَيْـًٔا أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:٤١).

وهم بهذا الأسلوب الخفي الدقيق الذي يدس السم بالعسل يحققون هدفين أساسيين:

الأول: عزل أهل البيت عن المجتمع البشري، وإبعادهم عن واقعهم الإنساني، وإخراجهم عن إطار التأسي، والإقتداء، ليعطلوا دورهم الذي أناطه الله بهم، وهو أن يكونوا أسوة، وقدوة، ومثلاً حياً ومَعْلَماً بارزاً يجسد الإسلام في الواقع البشري، ويُذَكر الناس بالله وذلك بتصويرهم تصويراً خيالياً وهمياً خارجاً عن إطار التصور البشري. فإذا تصور الناس أنهم خارجون عن مستوى البشر عند ذلك يصبحون رمزاً للتقديس لا مَعْلَماً للإقتداء. وقد عالج القرآن الكريم هذا التصور الخاطئ بقوله تعالى لنبيه:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف:١١٠).

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟

إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (فصلت:٦).

إن المنهج الإلهي الذي سلكه أهل البيت عليهم السلام لتربية الأمة ووضعها على جادة الحق والعدل والإنسانية، هو نزولهم إلى المجتمع البشري، وتعاملهم معهم كبشر بدون أن يميزوا أنفسهم عنهم، وإنما كانوا فيهم كأحدهم كما وُصِفَ أمير المؤمنين عليه السلام:

«كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له»[١].

وقد اخذ أمير المؤمنين عليه السلام هذا السلوك من معلمه ومربيه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الذي كان يجلس في وسط أصحابه كأنه أحدهم فإذا جاء غريب لا يعرفه قال: أيكم محمد ؟[٢] لأنه لم يكن يتميز عليهم بشيء لا بمجلس، ولا بملبس، وإنما كأحدهم مع هيبته فيهم وتوجههم إليه واستماعهم له «إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رؤوسهم الطير»[٣].

---

(١) ابن ميثم البحراني، شرح على المائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام: ٢٢٨.

(٢) ابن حمزة الطوسي، الثاقب في المناقب: ٣١٦، والمحدث المجلسي، بحار الأنوار ٣٩: ١٨٧، و٤١: ٢٣٠، الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد ٣: ١٦٨.

(٣) العلامة الطباطبائي، سنن النبي: ١٧.

الثاني: وهو هدف أخطر من الأول؛ لأنه يهدف إلى قلع شجرة التوحيد بإثارة شبهات الكفر والإلحاد على شيعة أهل البيت عليهم السلام ليكفرهم الناس، ويخرجوهم من حيز الوحدانية.

وخلاصة الكلام إن وضع الإمام علي عليه السلام في مرتبة الألوهية أو في مرتبة أعلى من الأنبياء، أو حلول الروح الإلهية فيه، أو استحالة قتله وموته، كما زعم الغلاة كل ذلك لإبعاده عن الموقع الأساسي الذي نصبه الله فيه بعد الرسول صلى الله عليه وآله في قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[1] ولا نشك أن كل ذلك جاء ضمن المخطط

---

(١) إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات ١: ٢٥٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ١٤، ومسند أحمد ١: ٨٤، ١١٨، ١٥٢، و٤: ٢٨١، ٣٧٢، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١: ٧٥، وسنن ابن ماجة ١: ٤٥ والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١١٠، ومجمع الزوائد ٧: ١٧ و٩: ١٠٤، وميزان الإعتدال للذهبي ٣: ٢٩٤، وفتح الباري لابن حجر ٧: ٦١، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري١٠: ١٤٧، والسنن الكبرى للنسائي ٥: ٤٥، والمعجم الصغير للطبراني ١: ٦٥، وكنز العمال ١: ١٨٧، وفيض القدير شرح الجامع الصغير ١: ٦٩، والتاريخ الكبير للبخاري ١: ٣٧٥، وتاريخ مدينة دمشق ١٣: ٦٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٢: ١٥٥، ولسان الميزان ١: ٣٨٧، والإصابة لابن حجر ٧: ١٣٦.

الأموي والعباسي الذي بذل المستحيل للقضاء على أهل البيت عليهم السلام قضاءً مادياً ومعنوياً؛ لأن في تشويه صورتهم تشويهاً للإسلام كما قال معاوية: «وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله. فأي عمل يبقى مع هذا لا أم لك، والله إلا دفناً دفناً؟»[1].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:٨).

واستمر هذا الأسلوب في الدس والتآمر على منهج أهل البيت عليهم السلام إلى عهد الإمام العسكري عليه السلام بين مد وجزر، واخذ أشكالاً وألواناً متعددة مرة بنشر الأكاذيب والأساطير والقصص الخيالية كما سلك ذلك معاوية بإشغال الناس عن أحاديث رسول الله وأهل بيته عليهم السلام بأحاديث القصاصين.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢: ٣٤١، والموفقيات، للزبير بن بكار: ٥٧٧.

وهكذا كان الخلفاء العباسيون؛ ولهذا كان الإمام الصادق عليه السلام إذا ذكر القصاصون عنده قال: «لعنهم الله إنهم يشنعون علينا»[١]

و سئل عليه السلام «عن القصاص يحل الاستماع لهم؟ فقال: لا»[٢].

كل هذا الدس في أحاديث أهل البيت عليهم السلام؛ لإبعاد الناس عن تعاليم الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتزييف ما نشروه من أفكار سامية تركّز التوحيد والعدل وتربط الأمة بخط النبوات، وتجعل الإمامة امتداداً للنبوة لإيصال الإنسان إلى كماله، كي يحمل عقيدة التوحيد، والعدل والمعاد رسالة في حياته. هذا من جانب، ومن جانب آخر يضعون الأحاديث التي تحط من مكانة أهل البيت عليهم السلام وهذا هو القسم الأول الذي ذكره الإمام الرضا عليه السلام في الحديث المتقدم:

«وثانيها التقصير في أمرنا» وهذا النوع من الأحاديث الموضوعة عكس النهج الأول؛ ليصوروا أهل البيت عليهم السلام بأنهم أناس عاديون، لا يتميزون عن الناس بشيء إن لم يكونوا دونهم !! كما سلك ذلك معاوية، ومن أتى بعده من ملوك بني أمية، وبني

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٢: ١١١.

(٢) المصدر نفسه.

العباس، وبذلوا الأموال الطائلة لوضع الأحاديث في ثلب أهل بيت النبوة عليهم السلام لإسقاط منزلتهم عند الناس كأحاديث أبي هريرة وسمرة بن جندب وكعب الأحبار، ووهب بن منبه... وغيرهم ممن سخروهم لأهدافهم الدنيئة .

والصنف **الثالث** من الأحاديث الموضوعة، الذي ذكره الإمام عليه السلام هو «التصريح بمثالب أعدائهم» وفي هذا الصنف من الموضوعات يثيرون أمواج الحقد، وعواصف البغض ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. وقد أوضح الإمام الرضا عليه السلام آثار هذه الأساليب:

الأول: «فإذا سمع الناس الغلو فينا كَفَروا شيعتنا ونسبوهم إلى الغلو» وعلى هذا الأساس أعملوا في أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم القتل والتشريد، والترويع، وجرت مذابح لا نظير لها.

«وعلى أثر هذه المذابح لأهل البيت، رفعت رايات الأنظمة السياسية الفاسدة المستبدة التي تمثلت في الدولة الأموية. وتحت هذه الرايات ظهرت الفرق والمذاهب والتشرذم والتحزب. كل حزب بما لديهم فرحون، وكان الحكام يقومون بتغذية تلك النعرة

داخل الأمة، وإذكاء نيرانها، وفي هذه الموجات، ظهر الغلاة والمتصوفة، وأصحاب الشطحات، واجتاحت الأمة ثقافات غريبة دخيلة وفلسفات يونانية وهندية وفارسية قديمة»[1].

وقد سلك بعض كُتّاب السلاطين الذين يؤرخون إليهم كما يحلوا لهم مسلك افتعال الفرق الغالية، وتشويه شخصية الكثير من تلاميذ أهل البيت عليهم السلام كزرارة، ويونس بن عبد الرحمن، وهشام بن الحكم، ومؤمن الطاق... وغيرهم ممن نسبوا إليهم فرق لا وجود لها إلا في أذهان الحاقدين من وعاظ السلاطين وعملائهم كما فعل الشهرستاني في مللله ونحله وغيره؛ والأعجب من ذلك أن تؤخذ أقواله مأخذ الجد وتعتبر حقائق لا شوب عليها!!!

والثانية: «إذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا» لأنهم نسبوا التقصير إليهم عليهم السلام على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ولما كان التيار السياسي معاكساً لنهجهم فسيكون قبول الناس بتقصيرهم، أو قصورهم أسرع، لما تمتلك السلطة من وسائل إعلامية كبيرة،

(١) سعيد أيوب، معالم الفتن ٢: ٤٣٢.

وقدرات مالية طائلة تشتري بها ضمائر العلماء والكتاب القصاصين.

والثالثة: «إذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا» ولذا من الأساليب التي اتبعها أعداء أهل البيت عليهم السلام هي تهمة سب الصحابة، وهي «من النقاط التي ركّزت عليها الحكومة وأثارتها ضد اتباع علي عليه السلام هي اتهامهم بسب الشيخين والصحابة، وكان مصير كل من ثبتت عليه هذه التهمة هو رميه بالخروج عن الدين وتكفيره، ومن ثم الحكم عليه بالموت، وهذا السلاح الخطير شهرته الحكومة العباسية بوجه العلويين؛ لإضعافهم فقهياً وسياسياً واجتماعياً»[1].

٢- المحور الفكري :

وأقصد به أن من أسباب الغلو هي الدوافع الفكرية؛ لصد حركة التوحيد، بتشويه الفكر الإسلامي من خلال دس أفكار وعقائد فيه ليس منه. وهذا السلاح من أخطر الأسلحة التي صُوبت نحو قلب الإسلام. وهذا الأسلوب الذي اتبع في محاربة أهل البيت عليهم السلام كان من الأساليب المتقدمة في الحرب النفسية، وما يعرف

(١) علي الشهرستاني، وضوء النبي ١: ٣٦٦.

اليوم بـ(التسميم السياسي) ويقوم هذا الأسلوب على «زرعٍ لقيم جديدة، وتشويه لقيم كامنة، واستغلال لقيم مختلقة»[١] وهذه هي مسالك التسميم السياسي منذ قديم الزمان وإلى اليوم . فلا أحد يستطيع أن يطعن الإسلام صراحة، ويعلن الحرب عليه؛ لأصالته ومتانته، وقوة عقائده، وأفكاره، وشمول أحكامه لكل جوانب الحياة وتجذّره في وجدان الأمة، وشعورها وضميرها حتى تأصّل في كيانها النفسي؛ ولذا نرى أعداء الإسلام لا يعلنون حربهم على الإسلام صراحة تجنباً لحساسية الأمة بل يحاربونه بصورة غير مباشرة من خلال إثارة الشبه والطعون والتهم على حملته. كما رموا الرسول الأعظم ﷺ بالسحر والجنون والكهانة... ولا شك أن الإسلام الأصيل الذي لم تَشُبْهُ شائبة هو الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام شكلاً ومضموناً، قلباً وقالباً لا يمكن أن يجدوا فيه ثغرة ينفذوا منها، ولأجل ذلك سلك أعداؤه مسالك مختلفة، وأخطرها حين أضمروا الكفر، وأظهروا الإسلام، واندسوا في صفوفه استسلاماً لقوته لا إيماناً بمبادئه، والتزاماً بأحكامه وقد أشار إلى هذا

(١) د.حامد ربيع، الحرب النفسية في الوطن العربي: ١٩.

أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه»[١]

وهكذا راحوا يخططون لدس السم في الدسم، وإلى هذا أشار الإمام الصادق عليه السلام حيث كان يقول: «كان المغيرة بن سعيد يتعمد الكذب على أبي، ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة، فكان يدس فيها الكفر، والزندقة، ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه، ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة، فكلما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك ما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم»[٢].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»[٣].

وفي حديث آخر: «إنا أهل بيت صادقون لا نعدم من يكذب

---

(١) نهج البلاغة: كتاب رقم: ١٦.

(٢) الشيخ الطوسي رحمه الله، إختيار معرفة الرجال: ٤٩١.

(٣) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٣.

علينا عند الناس. يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا»[١].

فقوله عليه السلام «فيسقط صدقنا بكذبه» أدل عبارة على الدس الفكري؛ لتشويه الرسالة المتمثلة بالعترة الطاهرة عِدْل القرآن الكريم ولهذا كانوا يحذّرون من مجالسة واستماع الأفاكين من الغلاة ممن تخصصوا بالدس الفكري، يقول أبو عبد الله عليه السلام:

«أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه، ويصدقه على قوله، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدرية»[٢].

ثم يذكر بعض الأفاكين الذين يشملهم قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(الشعراء:٢٢١-٢٢٢) في معرض تفسيره لهذه الآية، قال عليه السلام: «هم سبعة: المغيرة، وبنان، وصائد، وحمزة بن عمارة البربري، والحارث الشامي، وعبدالله بن

(١) عبد الحليم الجندي، الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ١٦٨.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال: ٧٢.

الحارث، وأبو الخطاب»[١].

ولدرء خطر التحريف الفكري أعد الله لدينه من يدفع عنه التحريف والتزييف كما ورد في أحاديث كثيرة عن السنة والشيعة في الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن في كل خلف من أمتي عدلاً من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وإن أئمتكم قادتكم إلى الله ﷻ، فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[٢].

وفي مسند زيد بن علي عن جده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٣].

وعن مسعدة بن صدقة، قال: حدثنا جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه : أن النبي ﷺ قال: «في كل خلف من أمتي عدل من أهل بيتي، ينفي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين

---

(١) المصدر نفسه: ٤٠٢.

(٢) الشيخ الصدوق رحمه الله، كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢١.

(٣) زيد بن علي عليه السلام، مسند الإمام زيد: ٣٨٣.

وتأويل الجهال، وإن أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدوا في دينكم وصلاتكم»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن العلماء ورثة الأنبياء؛ وذاك أن الأنبياء لم يُورِّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم، فمن أخذ بشيء منها، فقد أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه؟ فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[٢].

و لا شك أن هؤلاء الخلفاء العدول هم آل محمد صلى الله عليه وآله الذين اختارهم الله لحفظ دينهم من التحريف، و حماية أتباعهم من الانحراف، و في أكثر روايات هذا الحديث وردت كلمة « فينا أهل البيت» فأهل البيت عليهم السلام يحفظون الشريعة المنزلة من التحريف ويراقبون سيرها في عباد الله، وينفون عنها كل طارئ غريب ويذودون عنها كيد المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويدحضون

---

(١) الحميري القمي، قرب الاسناد: ٧٧.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٨: ٥٣، والكليني، الأصول من الكافي ١: ٣٢.

تحريف الغالين، فهم قادة البشرية والهداة إلى الله تعالى.

فعن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله: «وإن أئمتكم قادتكم إلى الله فانظروا بمن تقتدون في دينكم وصلاتكم»[1].

وعن حكيم، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم؟ فقال لي: أولئك: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين ومحمد بن علي، وجعفر أنا فاحمدوا الله الذي عرفكم أئمتكم وقادتكم حين جحدهم الناس»[2].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٣: ٣٠.

(٢) تفسر العياشي ١: ٢٥٢، وتفسير نور الثقلين ١: ٥٠٠.

وجاء في شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ١٣: ٧٨، ما رواه ابن حسنويه من العامة في "درر بحر المناقب" عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ... إنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية الله...

وقال السيوطي في الدر المنثور ٥: ١٩٩، أخرج الحكيم الترمذي، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: « ... ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب».

من هنا يتضح أن الله تعالى وفر لدينه ولعباده الحماية الفكرية لتعطيل عجلة التحريف، والتخريب، و الإفساد فنصب عباده من آل محمد أئمة هداة؛ ليوقظوا البشرية من غفلتها، ويضعوها على الصراط المستقيم، ويبقون مناراً يرجع إليهم الغالي، ويلحق بهم التالي، وبذلك يتبين لنا خطورة التحريف على الإسلام رغم ما وضع الله لدينه من حماية فكرية تمثلت في كتاب الله الذي تعهد الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).

وفي عترة نبيه حملة سنته التي تعرضت لكثير من الدس والتزوير والوضع فنصب الله آل محمد الطاهرين؛ لينفوا عنها تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين.

٣- المصالح الذاتية ... والأطماع الدنيوية :

هناك الكثيرون ممن انتحلوا الإسلام، وتزيّوا بزي الدين ليتخذوه وسيلة لطلب الدنيا، فنصبوه فخاً؛ ليصطادوا به قلوب المغفلين فلا يأخذون من الدين إلا ما قاربهم من الدنيا كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام حين سمع عمار بن ياسر رضي الله عنه وهو يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: «دعه يا عمار، فإنه لم يأخذ من الدين إلا

ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبس على نفسه؛ ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته»[١].

وكما وصف عليه السلام هذا الصنف بقوله: «مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه»[٢]

وكما حذر الإمام السجاد عليه السلام من هؤلاء بقوله: «فنصب الدين فخاً لها - للدنيا - ، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكن من حرام اقتحمه»[٣].

والإمام الصادق عليه السلام يقول: «والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره»[٤].

ويقول: «إن الناس أولعوا بالكذب علينا، إن الله افترض عليهم، لا يريد منهم غيره وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير تأويله؛ وذلك أنهم لا

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار: ٤٠٥.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٣: ٤٦.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٨٤ .

(٤) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٢٢٣.

يطلبون بحديثنا، وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون به الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً»[١].

وقد تعرض الإسلام لأخطار جمة من مكائد هؤلاء سواء على مستوى العمل السياسي، أو التحريف الفكري باتخاذ الغلو في الدين أو في أئمته وهي إحدى الوسائل التي سلكها طلاب الدنيا الذين تلبسوا بثوب الدين والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهم براء منهم وطالما حذر أهل البيت عليهم السلام من هذا المسلك الموبوء قائلين:

«عامل الدين للدنيا جزاؤه عند الله النار»[٢].

ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله: «من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب... »[٣].

وقال علي عليه السلام: «المستأكل بدينه حظه من دينه ما يأكله»[٤].

فإذن الكثير ممن سلك مسلك الغلو قد كان هدفه نيل الدنيا

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ١: ٣٤٧.

(٢) الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم: ١٣٠، ح: ٢٢٢٥.

(٣) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٧٠: ٢١٨.

(٤) المصدر نفسه ٧٨: ٦٣.

بخداع عوام الناس فـ«إن هؤلاء الغلاة لما كان غرضهم جلب العوام والتَقَوّي باجتماعهم كانوا يخترعون أموراً يغتر بها الناس ويرغبون فيها، كإباحة الفحشاء، والمنكر، وترك العبادات الشاقة ويقولون: هذا مذهب أهل البيت عليهم السلام فيقطعون الرابطة بين الأئمة وبين شريعة النبي صلى الله عليه وآله وكانوا لعجلتهم، وحرصهم على الدنيا لا يرضون بالسكوت والتقية فيفشون ما أمر الله أئمتهم بالستر، ومنهم من كانوا يصالحون مع أعدائهم بإنكار ما علم ثبوته من مذهب الأئمة، إذ لابد لمن يتعجل لإدراك الدنيا أن لا يجاهر كثيراً بمخالفة العامة، وان كانوا مخطئين»[1].

ونلمس حرارة شكوى الإمام عليه السلام من أولئك الغلاة بقوله: «الله بيننا وبين من هتك سترنا، وجحدنا حقنا، وأفشى سرنا ونسبنا إلى غير جدنا، وقال فينا ما لم نقله في أنفسنا»[2].

فقوله عليه السلام: «ما لم نقله في أنفسنا» «كأنه عليه السلام أراد به الغلاة في الأئمة عليهم السلام فإنهم كانوا كثيرين في الكوفة، وكانوا ينتسبون إلى

(١) المولى محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي ٦: ٣١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٧.

الأئمة عليهم السلام من غير حق، وأرادوا به الدنيا، ويستعينون بتعصب السذج والضعفة من شيعة أهل البيت، ويستتبعونهم، ويغتنمون عدم رضاهم من ولاة الجور، فيثيرون الفتن، ويشعلون نار الحرب من غير فائدة عقلية ومصلحة ملزمة، وبغير أمر إمامهم، ومثل هؤلاء كثير في جميع الأزمنة لا يراعون المصالح والنتائج»[1].

ومن هذه المحاور الثلاثة السياسية، والفكرية، والمصلحية تتفرع كل الأسباب الأخرى التي تؤدي إلى الغلو ونستطيع أن نحددها في نقاط:

أولاً: الهبوط الفكري والفساد العقائدي الذي ورثه بعض المسلمين من أديانهم السابقة فحين دخلوا الإسلام لم يتلقوا عقائده وأحكامه من أهله نقياً صافياً فبقيت الرواسب الفكرية التي تربوا عليها... لا سيما في عصر الفتوحات الأموية والعباسية، والتي لم يكن الهدف منها نشر الإسلام بين الملأ، وإيضاحه للناس، وإنما كانوا يهدفون إلى الابتزاز المادي؛ ولذا كان الكثير من أهل البلاد المفتوحة يعلنون الإيمان بالإسلام، ويستبطنون الأفكار والعقائد

(١) المولى محمد صالح المازندراني، شرح أصول الكافي ٦: ٣١٢.

القديمة في أنفسهم، ويظهرون الإسلام خوفاً فإذا وجدت تلك الأفكار والعقائد متنفساً برزت إلى الواقع، أو يفتشون عن طرق أخرى لضرب الإسلام بصورة خفية لا تعرضهم إلى مشاكل مع السلطة القائمة؛ لذلك يسلكون مسالك الدس الفكري لأفكارهم القديمة في الإسلام، وقد سلك هذا المسلك كثير من اليهود ممن دخلوا في الإسلام؛ ليطعنوه من داخله ككعب الأحبار، وتميم الداري ووهب بن منبه ... الخ وغيرهم .

ثانياً: ردود الفعل غير الواعية: ومن أسباب الغلو ردود الفعل غير الواعية ضد الفاتحين الذين كانوا يخالفون الإسلام في أغلب سلوكياتهم، وفي نفس الوقت كان أهل البيت عليهم السلام يعارضون تلك التصرفات، ويصححون المفاهيم والأحكام؛ ليعطوا الصورة الناصعة للإسلام لكن بشكل سري ورمزي ضمن منهج التقية مما أدّى إلى عدم الاستيعاب الكلي للرسالة بشكل جيد، وعدم فهم النصوص بشكل دقيق، وإنما برزت أفكار الغلو باسم أهل البيت عليهم السلام؛ لأنهم كانوا يمثلون الخط المعارض للسلطة فاستغل هؤلاء المقهورون بالإسلام اسمهم؛ ليطعنوا الإسلام من داخله، وقد وقف الأئمة عليهم السلام من هؤلاء موقفاً حدياً كما سيتضح فيما يأتي من بحثنا هذا.

ثالثاً: عدم فهم الإسلام فهماً سليماً ودقيقاً: ومن الأسباب المهمة هو عدم فهم الإسلام فهماً سليماً ودقيقاً، وإنما فُهِمَ فهماً مقلوباً. «وَلُبِسَ الإسْلامُ لُبْسَ الفَرْوِ مَقلُوباً»[1] لأن الحكام والأمراء والولاة يعلنون الإسلام شعاراً، ويخالفونه فكراً وسلوكاً، ويُنَظِّر لهم فقهاء البلاط، ووعاظ السلاطين، ويبررون انحرافهم بأحاديث من عندهم[2]. في الوقت الذي أبعدوا أهل البيت عليهم السلام واضطهدوهم ومنعوهم عن تعليم الناس وهدايتهم، وإذا رجعنا إلى التأريخ نعرف

---

(١) نهج البلاغة: خطبة: ١٠٨.

(٢) لما أفضت الخلافة إلى الرشيد، وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي (أبي هارون) فراودها عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك، إن أباك طاف بي، فشغف بها. فأرسل إلى أبي يوسف - القاضي - فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين أو كلما ادعت أَمَةٌ شيئاً ينبغي أن تصدق، لا تصدقها فإنها ليست بمأمونة... اهتك حرمة أبيك، واقض شهوتك، وصيره في رقبتي!... وقال الرشيد لأبي يوسف: إني اشتريت جارية، وأريد أن أطأها ألان قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، تهبها لبعض ولدك، ثم تتزوجها.

(تاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي: ٣٣٢، تحقيق الشيخ قاسم الشماعي، والشيخ محمد العثماني ط/دار القلم،بيروت)، وفلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي: ٢٤٦.

الجهد الضخم الذي بذله أهل البيت؛ لتربية الناس بالإسلام وهدايتهم إليه رغم المحاصرة، والاضطهاد، والسجن، والقتل والتشويه، لا يقال أن أكثر الغلاة كانوا من أصحابهم ومريديهم فإن كل الذين دعوا إلى الغلو وتبنوه، إما كانوا مدفوعين من السلطة بشكل خفي؛ لتشويه حقيقة أهل البيت عليهم السلام، أو متصل بعنصر يهودي يُعَلمه الشعوذة والشعبذة. كما في قصة المغيرة بن سعيد والعجوز اليهودية - لعنهما الله - التي كان يتلقى عنها دروس الخداع، والسحر، والشعبذة كما أشار الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق»[1].

فهؤلاء لم يكونوا من الذين تربوا على منهجهم صلوات الله عليهم، وإنما حُسبوا عليهم ادعاءً، وكذباً، وزوراً. كما أوضح ذلك الأئمة الطاهرون عليهم السلام في عدة أحاديث.

فعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن القاسم شريك المفضل، وكان رجل صدق

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٨٩.

قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «حَلَقٌ في المسجد يُشَهّرونا ويشهرون أنفسهم أولئك ليسوا منا، ولا نحن منهم، أنطلق فأُواري وأستر فيهتكون ستري، هتك الله ستورهم، يقولون: إمام، أما والله ما أنا بإمام إلا لمن أطاعني، فأما من عصاني فلست له بإمام، لِمَ يتعلقون باسمي ألا يَكُفون اسمي من أفواههم فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار»[1].

وعن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا معشر الشيعة - شيعة آل محمد - كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي، فقال له رجل من الأنصار يقال له سعد: جعلت فداك ما الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا فليس أولئك منا ولسنا منهم، قال: فما التالي؟ قال: المرتاد يريد الخير، يبلّغه الخير يؤجر عليه، ثم أقبل علينا، فقال: والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا

(١) ثقة الإسلام الكليني، الروضة من الكافي ٨: ٣٧٤.

تغتروا»[1].

رابعاً: أمراض القلوب: مما لا شك فيه أن الرواسب النفسية الكامنة في القلوب من الكفر والشرك والنفاق، والتي عبر عنها القرآن الكريم بأمراض القلوب تظهر إلى حيز الوجود حين تجد لها منفذاً تنفذ إليه؛ لتفسد الحرث والنسل فما يصدر من أفكار منحرفة عن نهج الحق والعدل إنما هي إفراز لأمراض كامنة في القلوب، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله ﷻ:

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (البقرة: ١٠).

بل كانوا يتصيدون في الماء العكر فيفتشون عن آية في كتاب الله؛ ليموهوا بها أفكارهم الفاسدة؛ وينسبوها للإسلام كذباً وزوراً. كما قال الله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ

(١) ثقة الإسلام الكليني، الأصول من الكافي ٢: ٧٥-٧٦.

﴿ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ (آل عمران: ٧) .

وما الأفكار المنحرفة عن نهج الحق والهدى الصادرة من القلوب المريضة إلا نفثات شيطانية يلقيها الشيطان في القلوب المريضة الفاسده: ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الحج:٥٣).

وقد يحسب هؤلاء أن ما يدسونه من سموم أفكارهم؛ ليفسدوا منهج التوحيد تخفى على الله، أو على أوليائه، وعباده الصالحين فخيب الله ظنونهم، وأبطل افتراءاتهم بقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ (محمّد:٢٩).

الفصل الرابع :

صمامات أمان من الغلو

من أعمق الأبعاد الإنسانية هي روح التعبد والتقديس؛ ولذا وجد الباحثون في آثار حياة الإنسان أنواعاً مختلفة من المعبودات لأن الإنسان بطبعه يبتغي مثلاً أعلى يحتمي به، ويلوذ بظله، ويتخذه معبوداً، والسر في ذلك أن جميع أبناء آدم: العالم، والجاهل والبدوي، والمتحضر... يسعون إلى نيل الكمال، فإذا اعتقدوا حصوله في كائن ما، وتصوروا أنه يمثل نقطة الكمال القصوى قدسوه واتخذوه معبوداً دون سواه؛ ولهذا وجدنا الإنسان عبر العصور يتخذ من الحجر، أو الشجر، أو الشمس ،أو القمر، أو الماء أو النار، أو حيواناً ما، أو أشخاصاً معينين يتصورون أنهم ذروة الكمال معبودات مطلقة، وكل هذا نتيجة البعد التقديسي الذي يجر الإنسان إلى الانبهار، والإعجاب والتصاغر أمام من يعتقد أنه قمة الكمال؛ ولهذا رأينا البشر (يصنعون الأساطير من أبطال، أو علماء،

أو رجال دين) ويضفون طابع القدسية من الكمال الذي يتصورونه، ومن هنا نجد المبالغة في الحمد عند إنسان اليوم لأبطال حزبيين أو قوميين. وذكر عبادة الحزب، الهدف، المسلك، العلم، الماء، التراب، الإحساس بالتضحية فكل هذا نتيجة الإحساس التعبدي الغريزي، وهو أعلى درجات الكمال إذا كان في عبادة الذات الأحدية لله ﷻ.

أما عبادة المخلوقات بكل أشكالها فهو نوع انحراف هذا الحس عن مسيره الأصلي.[1]

ونتيجة عمق البعد التقديسي التعبدي في نفس الإنسان قد يقع الإنسان في الغلو، فيحول الحقائق المحدودة إلى حقائق مطلقة ويقع بين اللاإنتماء والضياع. وهما الشرك والإلحاد. يقول المفكر الشهيد الصدر رحمه الله:

«قد يجد الملاحظ - وهو يفتش الأدوار المختلفة لقصة الحضارة على مسرح التأريخ - إن المشاكل متنوعة والهموم متباينة في صيغها المطروحة في الحياة اليومية، ولكننا إذا تجاوزنا هذه

(١) عن كتاب جهان بيني إسلامي باللغة الفارسية، للشهيد مرتضى المطهري رحمه الله بتصرف.

الصيغ، ونفذنا إلى عمق المشكلة وجوهرها استطعنا أن نحصل من خلال كثير من تلك الصيغ اليومية المتنوعة على مشكلة رئيسية ثابتة ذات حدين أو قطبين متقابلين، يعاني الإنسان منهما في تحركه الحضاري على مر التأريخ، وهي من زاوية تعبر عن مشكلة: الضياع واللاإنتماء، وهذا يمثل الجانب السلبي من المشكلة، ومن زاوية أخرى تعبر عن مشكلة: الغلو في الانتماء والانتساب بتحويل الحقائق النسبية التي ينتمي إليها إلى مطلق، هذا يمثل الجانب الإيجابي من المشكلة، وقد أطلقت الشريعة الخاتمة على المشكلة الأولى اسم : الإلحاد، باعتباره المثل الواضح لها، وعلى المشكلة الثانية اسم: الوثنية والشرك، باعتباره المثل الواضح لها أيضاً. ونضال الإسلام المستمر ضد الإلحاد والشرك هو في حقيقته الحضارية نضال ضد المشكلتين بكامل بعديهما التاريخيين»[1].

ولقد وضع الإسلام صمامات أمان لحفظ حركة الإنسان في كدحه إلى الله تعالى من الوقوع في أحد الصيغتين، وذلك من خلال قواعد نص عليها القرآن الكريم، والسنة الشريفة وهي:

---

(١) السيد الشهيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة ١: ٧٠٦-٧٠٧.

تقرير بشرية الأنبياء والمرسلين وعبوديتهم لله تعالى :

في الوقت الذي يمثلون قمة الكمال البشري، من خلال اتصالهم بوحي السماء، إلا أنهم بشر يجري عليهم ما يجري على الجميع ولا يتميزون - من حيث خلقتهم، وحياتهم، وموتهم وشرائط وجودهم في الحياة كحاجتهم إلى الطعام، والشراب والهواء وكتعرضهم للجوع والعطش، والصحة والمرض، والغضب والرضا، والنوم واليقظة، والشباب والشيخوخة... وما إلى ذلك من مقتضيات حياة الإنسان إلا بالوحي الإلهي، والوعي لأوامر هذا الوحي، والذوبان بها قولاً وفعلاً وسلوكاً ... وقد أوجز الإمام الرضا عليه السلام ذلك كله في معرض رده على الغلاة، بقوله:

«والإمام يُولَد ويَلد، ويصح ويمرض، ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وينكح وينام... ويفرح ويحزن، ويضحك ويبكى، ويحيى ويموت، ويقبر ويزار، ويحشر ويوقف، ويعرض ويسأل، ويثاب ويكرم، ويشفع، ودلالته في خصلتين في العلم واستجابة الدعوة وكل ما أخبر به من الحوادث التي تحدث قبل كونها فذلك بعهد معهود إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله توارثه وعن آبائه عنه عليهم السلام ويكون

ذلك مما عهد إليه جبرئيل عليه السلام من علام الغيوب عز وجل وجميع الأئمة الأحد عشر بعد النبي صلى الله عليه وآله قتلوا: منهم بالسيف، وهو أمير المؤمنين، والحسين عليهما السلام، والباقون قُتلوا بالسم قَتل كل واحد منهم طاغية زمانه، وجرى ذلك عليهم على الحقيقة والصحة، لا كما تقوله الغلاة والمفوضة (لعنهم الله)، فانهم يقولون: انهم لم يقتلوا على الحقيقة، وانه شبه للناس أمرهم فكذبوا عليهم (غضب الله) فانه ما شُبه أمر أحد من أنبياء الله، وحججه للناس إلا أمر عيسى بن مريم عليه السلام وحده؛ لأنه رفع من الأرض، حياً وقبض روحه بين السماء والأرض، ثم رفع إلى السماء، وَرَدَّ عليه روحه؛ وذلك قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ﴾ (آل عمران:٥٥).

وقال عز وجل حكاية لقول عيسى عليه السلام يوم القيامة: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة:١١٧)»[1].

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ١: ٢١٤-٢١٥.

وكل مضامين هذا الحديث الشريف لها دلالة في كتاب الله المجيد كما قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (الكهف:١١٠).

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ (فصلت:٦).

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ (إبراهيم:١١).

كما أكد القرآن الكريم رحيل الرسول ﷺ عن هذا العالم بموت أو قتل تأكيداً لبشريته. كما قال الله تعالى:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٤).

وقوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠).

ورغم ذلك فقد أنكر بعضٌ وفاة النبي كذباً، وزوراً، خداعاً وتلاعباً سياسياً، كي يشغل الناس بفكرة باطلة ريثماً يتسنى له السيطرة على مقام الخلافة - وقد ظن البعض أن هذا غلواً وليس الأمر كذلك - كما أنكر غيره استشهاد الإمام علي عليه السلام، وقال: «إنه قد غاب وسيعود». وادعى الواقفية عدم موت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وأنكروا إمامة ولده علي الرضا عليه السلام. وكل ذلك تلاعباً بالأفكار والنفوس طمعاً في زخارف الدنيا.

وقد أبطل القرآن الكريم زيف تصورات الكافرين الذين يرون أن الذي يحمل رسالة السماء، يجب أن يكون من خارج البشر حيث: ﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (إبراهيم: ١٠).

وقالوا: ﴿ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٤).

﴿ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ (يس: ١٥).

وحين قالوا له:

﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(الشعراء:١٨٦-١٨٧).

وهكذا أرجعهم إلى الله، وأكد أن ما جاء به ليس منه ذاتاً، وإنما هو وحي من الله: ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(الشعراء:١٨٨).

وحين طلبوا من الرسول ﷺ أن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً أو تكون له جنة من نخيل وأعناب، أو يسقط عليهم السماء، أو يأتي بالله والملائكة قبيلاً، أو يكون له بيت من زخرف، أو يرقى إلى السماء، أو ينزل عليهم كتاباً محسوساً يقرؤونه !!! إنها طلب المستحيل من البشر فكان رده ﷺ اعترافاً ببشريته ومحدودية قدرته الذاتية إلا ما أذن الله به، فهو لا يأتي بشيء من غير الله، وأن ما يأتي به من معاجز وكرامات هي بإذن الله. أي أن هذه الطلبات ليس من مختصات الإنسان، أو قدراته إنما هي لله تعالى دون سواه ولذا كان رده - ﷺ- واضحا صريحاً ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء:٩٣).

و(فيه أمره ﷺ أن يجيب عما اقترحوه عليه، وينبههم على

جهلهم ومكابرتهم فيما لا يخفى على ذي نظر، فإنهم سألوه أموراً عظاماً لا يقوى على أكثرها إلا القدرة الغيبية الإلهية، وفيها ما هو مستحيل بالذات كالإتيان بالله والملائكة قبيلاً، ولم يرضوا بهذا المقدار، ولم يقنعوا به دون أن جعلوه هو المسؤول المتصدي لذلك المجيب لما سألوه فلم يقولوا: لن نؤمن لك حتى تسأل ربك أن يفعل كذا وكذا، بل قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ﴾... الخ، ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ﴾... الخ، ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾... الخ، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ﴾... الخ، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ﴾... الخ، ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾.

فإن أرادوا منه ذلك بما أنه بشر فأين البشر من هذه القدرة المطلقة غير المتناهية المحيطة حتى بالمحال الذاتي، وإن أرادوا منه ذلك بما أنه يدَّعي الرسالة فالرسالة لا تقتضي إلا حمل ما حمله الله من أمره، وبعثه لتبليغه بالإنذار والتبشير لا تفويض القدرة الغيبية إليه واقتداره أن يخلق كل ما يريد، ويوجد كل ما شاءوا، وهو ﷺ لا يدعي لنفسه ذلك فاقتراحهم ما اقترحوه مع ظهور الأمر من عجيب الاقتراح. ولذلك أمره ﷺ أن يبادر في جوابهم:

أولاً: إلى تنزيه ربه مما يلوح إليه اقتراحهم هذا من المجازفة وتفويض القدرة إلى النبي ﷺ، ولا يبعد أن يستفاد منه التعجب فالمقام صالح لذلك.

وثانياً: إلى الجواب بقوله في صورة الاستفهام: ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ وهو يؤيد كون قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ واقعاً موقع التعجب أي إن كنتم اقترحتم عليَّ هذه الأمور، وطلبتموها مني بما أنا محمّد فإنما أنا بشر، ولا قدرة للبشر على شيء من هذه الأمور وإن كنتم اقترحتموها لأني رسول أدعي الرسالة فلا شأن للرسول إلا حمل الرسالة، وتبليغها لا تقلد القدرة الغيبية المطلقة)[1].

وأما السنة الشريفة فقد كان رسول الله ﷺ يؤكد للناس بشريّته وعبوديته لله تعالى؛ لئلا ينبهر الناس به فيرتفعون به إلى مقام خارج مقام الخليقة فيقول ﷺ كما نُقِلَ عن الإمام الرضا عليه السلام حين قال له المأمون: «يا أبا الحسن بلغني أن قوماً يَغلون فيكم ويتجاوزون فيكم الحد، فقال الرضا عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه

(١) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١٣: ٢٠٣.

علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۝ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٩-٨٠).

قال علي عليه السلام: يهلك فيَّ اثنان، ولا ذنب لي: محب مفرط ومبغض مفرط، وأنا ابرأ إلى الله تبارك وتعالى ممن يغلو فينا ويرفعنا فوق حدنا كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة:١١٦- ١١٧).

وقال ﷻ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(النساء:١٧٢).

وقال ﷻ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾(المائدة:٧٥).

ومعناه إنهما كانا يتغوطان فمن ادعى للأنبياء ربوبية، وادعى للائمة ربوبية، أو نبوة، أو لغير الأئمة إمامة، فنحن منه براء في الدنيا والآخرة»[١].

وفي نص آخر عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «أحبونا بحب الإسلام فان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا ترفعوني فوق حقي فان الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني رسولاً»[٢].

وعن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن علي بن حسين عليه السلام، قال: «قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: لو اتخذنا لك شيئا ترتفع عليه تكلم الناس، فقال: لا أزال بينكم تطئون عقبي حتى يكون الله يرفعني، ثم قال: لا ترفعوني فوق حقي فإن الله اتخذني عبداً قبل أن

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا ٢: ٢٠١.

(٢) ابن حجر الهيثمي، مجمع الزوائد ٩: ٢١.

يتخذني رسولاً»[١].

و رُوي: أن النبي ﷺ صلى صلاة الفجر بمسجد الخيف فرأى رجلين لم يصليا معه فقال: «عليَّ بهما فأتى بهما وفرائصهما ترتعد فقال ﷺ: لا تخافا فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[٢].

وعن أبي مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ فكلمه فجعل ترعد فرائصه، فقال له: «هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد»[٣].

لقد كانت هيبة رسول الله ﷺ التي أضفاها الله عليه تأخذ الداخل عليه فيرتبك ويرتعد، وخشية من وقوع الناس في الغلو كان رسول الله يخفف عنهم وَقْعَ تلك الهيبة الإلهية، ويوضح لهم أنه بشر عبد لله، فلا ينبغي أن يقعوا فيما وقعوا فيه، وإذا ما بالغوا

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤: ٧٦، والصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد ٧: ٣٩.

(٢) السرخسي، المبسوط ١٦: ٧٩.

(٣) محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة ٢: ١١٠١، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٢: ٤٦٦.

بمدحه، وتجاوزوا حد الثناء عليه، قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

ويقول ﷺ: «أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «مرت امرأة بذّية برسول الله ﷺ وهو يأكل، وهو جالس على الحضيض، فقالت: يا محمد، إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه! فقال لها رسول الله ﷺ: إني عبد، وأي عبد أعبد مني، قالت: فناولني لقمة من طعامك، فناولها فقالت: لا والله إلا الذي في فيك، فأخرج رسول الله ﷺ اللقمة من فيه، فناولها فأكلتها، قال أبو عبد الله عليه السلام: فما أصابها بذاء حتى فارقت الدنيا»[٣].

وعلى نهج رسول الله ﷺ سار أئمة الهدى حيث كانوا يجسدون سنة رسول الله في قوله، وفعله، وأخلاقه، وجميع شؤون

(١) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١: ١٣١، والسيد حامد النقوي، خلاصة عبقات الأنوار ٣: ٣١١.

(٢) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة ٢٣: ٥٥٣.

(٣) ثقة الإسلام الكليني، الفروع من الكافي ٦: ٢٧١.

حياته.

فعن إسماعيل بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسماعيل ضع لي في المتوضأ ماء، قال: فقمت فوضعت له، قال: فدخل، قال: فقلت في نفسي أنا أقول فيه كذا وكذا، ويدخل المتوضأ يتوضأ، قال: فلم يلبث أن خرج، فقال: يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم اجعلونا مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم، فلن تبلغوا، فقال إسماعيل: وكنت أقول: إنه وأقول وأقول»[١].

قال المحدث المجلسي: «كذا وكذا، أي أنه رب ورازق وخالق ومثل هذا، كما أنه المراد بقوله: كنت أقول إنه وأقول»[٢].

وسأل رجل الإمام الرضا عليه السلام قائلاً: «يابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الرضا عليه السلام: إنه من يصف ربه بالقياس فانه لا يزال الدهر في الالتباس، مائلاً عن المنهاج طاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل، ثم قال: أُعرِّفه بما عرّف به نفسه، أُعرفه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

نفسه، أصفه من غير صورة، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس معروف بالآيات، بعيد بغير تشبيه، ومتدانٍ في بعده بلا نظير، لا يتوهم ديمومته، ولا يمثل بخليقته، ولا يجور في قضيته.

الخلق إلى ما علم منهم منقادون، وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون، لا يعملون بخلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقص، يحقق ولا يمثل، ويُوَحد ولا يُبَعض، يعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات، ولا إله غيره، الكبير المتعال.

فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يابن رسول الله، فإن معي من ينتحل موالاتكم، ويزعم أن هذه كلها صفات علي عليه السلام، وأنه هو الله رب العالمين.

قال: فلما سمعها الرضا عليه السلام ارتعدت فرائصه وتصبب عرقاً وقال: سبحان الله سبحان الله عما يقول الظالمون والكافرون علواً كبيراً، أو ليس كان علي عليه السلام آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً في المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلياً خاضعاً، بين يدي الله ذليلاً، وإليه أواهاً منيباً أفمن كان هذه صفته يكون إلهاً؟ فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلا وهو إله

لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدث كل موصوف بها»[١].

وقال الصادق عليه السلام: «يبسط لنا فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم والإمام يولد ويلد، ويصح ويمرض، ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، ويفرح ويحزن، ويضحك ويبكي، ويموت ويقبر، ويُزاد فيَعلم، ودلالته في خصلتين: في العلم واستجابة الدعوة، وكلما أخبر به من الحوادث التي تحدث قبل كونها كذلك بعهد معهود إليه من رسول الله صلى الله عليه وآله توارثه من آبائه عليهم السلام»[٢].

فمن خلال هذه الروايات والأحاديث، وكثير غيرها نعرف أن النبي وآله كانوا يتمتعون بهيبة إلهية من خلال النبوة والإمامة، هيبة الإيمان بالله تعالى الذي أفاضه الله عليهم، وطهرهم من الرجس تطهيراً، وبما وعوه من رسالة الله، وجسدوها واقعاً عملياً محسوساً فكانوا مصداقاً للحديث الشريف: «ومن خاف الله، أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء»[٣] نعم الذي

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) الشيخ الصدوق، الخصال: ٥٢٨.

(٣) ابن إدريس الحلي، السرائر ٣: ٥٩٣.

يخاف الله حق مخافته يُخيف الله منه كل شيء. فكيف بمن وصل إلى نقطة الكمال في معرفة الله تعالى، وحبه والخوف منه والرجاء إليه، وما زال كتاب الله صادعاً بقولهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٠).

وكانت هذه الهيبة تملك الناس، وتسيطر على قلوبهم وعقولهم وتحاشياً من وقوع الناس في الغلو، وتجاوز الحدود البشرية كانوا صلوات الله عليهم ينبهون ويحذرون من الوقوع بشباك الشيطان الذي يصور المخلوق انه الإله الذي يجب أن يُعبد؛ ولذا يقررون للناس الحقيقة، وهي انهم بشر مخلوقون، ولكنهم لله عابدون حامدون، سائحون، راكعون، ساجدون، آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر. فهم في أكمل درجات البشرية، بل وأكمل ما وصل إليه إنسان على وجه البسيطة، جمعوا خصال الأنبياء؛ ولذا قال ﷺ:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في عبادته، والى إبراهيم في خلته، والى موسى في هيبته، والى عيسى في زهده والى يحيى في ورعه فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فان فيه سبعين خصلة من خصال الأنبياء»[1].

---

(١) العلامة الحلي، كشف اليقين: ٥٣، وكشف الغطاء ١: ١٣، القندوزي، ينابيع المودة ☜

ورغم ذلك كله فهم بشر يجري عليهم ما يجري على كل إنسان من الحياة والموت، والصحة والمرض، والقوة والضعف والغنى والفقر... الخ.

ولقد آتاهم الله علوماً جمة لا تحيط بها مدارك الإنسان العادي لذلك طالما تحسر أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «إن ها هنا لعلماً جماً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة!»[1] ولكن كانوا يخفون الكثير من العلوم التي لا تطيقها عقول الناس... بل كانوا يخفون بعض «غرائب أحوالهم وشؤونهم، وهذا مما تعجز عنه عقول عامة الخلق ولو أحاطوا بشيء من ذلك لطاروا إلى درجة الغلو والارتفاع؛ ولذا كانوا عليهم السلام يتقون من شيعتهم أكثر من مخالفيهم، ويخفون أحوالهم وأسرارهم منهم خوفاً من ذلك؛ ولذا قالوا عليهم السلام: إن علمنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[2].

٢: ٣٠٦-٣٠٧، وكتاب الأربعين للماحوزي: ٣٩٤، والأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة للسيد عبد الله شبر: ١٥٥.

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار: ١٤٧.

(٢) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٩٥.

وينسب للإمام السجاد عليه السلام قوله:

إني لأكتم من علمي جواهره ... كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبله الحسنا
ورب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا[1]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «لو جلست أحدثكم ما سمعت من فم أبي القاسم صلى الله عليه وآله لخرجتم من عندي، وأنتم تقولون: إن علياً من أكذب الكاذبين... قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾»[2].

وهكذا ننتهي من خلال الروايات والأحاديث الكثيرة إلى نتيجة مهمة، وهي أن الاحتياطات التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته لحفظ الأمة من الانبهار والإعجاب بما آتاهم الله من فضله، والخروج بهم من عالم الخليقة إلى عالم اللاهوت[3]، وهذا هو مقتضى الحكمة

(١) القندوزي، ينابيع المودة ١: ٧٦، والأصول الأصلية، للفيض الكاشاني: ١٨٦، وروح المعاني للآلوسي ٦: ١٩٠، وموسوعة الغدير ٧: ٥٢، والتحفة السنية (مخطوط) للسيد عبد الله الجزائري: ٨.

(٢) القندوزي، ينابيع المودة ٣: ٢٠٣، والاختصاص، للشيخ المفيد: كلمة المصحح:٥، والغدير ٧: ٥٢، ومنح المنة للشعراني: ١٤.

(٣) راجع زيارة الإمامين العسكريين في كتاب المزار، لمحمّد بن المشهدي: ٦٥٦.

الإلهية في إعداد وتربية المجتمع الإنساني، وحتى في زيارة ضرائحهم المقدسة كانوا عليهم السلام يملون على شيعتهم صيغاً تشدهم إلى الله تعالى وتعبدهم له، وتبرئهم ممن اعتقد وتجاوز بهم حدود المخلوقين، أو نزل بهم حد التقصير؛ لأن «المتقدم عليهم مارق والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق» وقد ورد في زيارة العسكريين عليهما السلام أخصر عبارة وأروعها في تحديد الموقف العقائدي من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ ممَّنِ اعْتَقَدَ فِيهِمَا اللاهُوتَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمَا الطَّاغُوتَ، اللَّهُمَّ الْعَنِ النَّاصِبَةَ الْجَاحِدِينَ، وَالْمُسْرِفِينَ الْغَالِينَ وَالشَّاكِّينَ الْمُقَصِّرِينَ، وَالْجَهَلَةَ الْمُفَوِّضِينَ»[1].

الوسطية في الإسلام :

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اليمين والشمال مضلة، والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب، وآثار النبوة، ومنها منفذ السنة، وإليها مصير العاقبة»[2].

---

(١) محمد بن علي المشهدي، كتاب المزار: ٦٥٦.

(٢) نهج البلاغة: خطبة: ١٦.

تلك هي الحقيقة واضحة - جلية على لسان رجل يدور معه الحق حيثما دار - وهي أن الإسلام يرفض الإفراط والتفريط والتَزَمُت في جميع جوانب الحياة الإنسانية العقائدية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية تصوراً، واعتقاداً، وسلوكاً، وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى بسلوكه، فمن خرج منه قد سلك سبيل الشيطان يقول تعالى:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وقد أوضح ذلك النبي ﷺ بشكل عملي فعن ابن مسعود:

خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط، وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾»[1].

وعن أبي وائل عن عبد الله قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً

---

(١) محمد الريشهري، ميزان الحكمة ٩: ٣٧٢٥، ط/دار الحديث، ومسند أحمد بن حنبل ١: ٤٦٥.

فقال: «هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله فقال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾»[1]

وعن جابر بن عبد الله، قال: «كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً وخط خطين عن يمينه. وخط خطين عن يساره. ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: هذا سبيل الله.

ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[2]

إذن الوسطية لابد أن تلازم الإنسان في أفكاره، ومشاعره وعواطفه، وفي رضاه وغضبه، وجميع تصوراته فلا يفرط في حب ولا في بغض، وإنما يجعل لنفسه ميزان قسط يزن به كل ما يرد عليه وما يختلج في نفسه، فإذا أحب أحداً لا يغالي فيه، وإذا أبغض لا يفرط في بغضه، وإذا رضي لا يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لا يخرجه غضبه عن الحق، فالتوازن، والاتزان، والاستقامة

(١) الطيالسي، مسند أبي داود: ٣٣.

(٢) محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة ١: ٦.

ديدنه وسلوكه في كل حالاته، وتأسيساً على ذلك أمر الإسلام بالاستقامة والتوازن في الحب حتى مع أقدس المقدسات والمقدسين، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ما سيعرض إليه المُفَرط (بفتح الفاء) من محبيه، والمُفرِط (بكسر الراء) من مبغضيه فيقول عليه السلام: «سيهلك فيَّ صنفان، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيَّ حالاً النمط الأوسط»[1].

وفي حديث آخر: «إنَّه يهلك فيَّ محب مطرٍ يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض مفترٍ يحمله شنآني على أن يبهتني»[2].

وقال عليه السلام: «ألا وإنه يهلك فيَّ رجلان: محب مطري يطريني بما ليس فيَّ، وباهت مفتري يحمله شنآني على أن يبهتني بما ليس فيَّ، ألا وإني لستُ بنبي يوحى إليَّ، ولكني أعمل بكتاب الله فما استطعت وأطعت، فما أمرت به من طاعة الله، فحق عليكم طاعتي وما أمرت به من معصية الله أنا وغيري فلا طاعة في معصية الله

(١) إبراهيم بن محمد الثقفي، الغارات ٢: ٥٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ٥٩٠.

الطاعة في معروف، الطاعة في معروف»[١].

والإمام عليه السلام في كلماته تلك يشير إلى حالات التطرف في الحب والبغض، ووعد الاثنين بالهلاك، وهو إنذار خطير لكل عاقل.

وخلاصة القول: إن الإسلام جعل الوسطية قانوناً لكل سالك إلى الله تعالى، وهو منهج الكتاب والسنة لا يحيد عنه أحد إلا وقع في الإفراط أو التفريط فالوسطية إذن هي صمام أمان من الوقوع في شباك الغلو والغلاة. ومن هذا المنطلق قال علماء الأخلاق: «كل فضيلة محاطة برذيلتين» أو كما قالوا: «الحسنة بين السيئتين».

إن الإسلام إنما أكد على ذلك؛ ليضع الإنسان على جادة الصواب، ويحفظ له توازنه واتزانه واستقامته على الصراط المستقيم المتمثل بالوسطية. والتي جسدها في الواقع أهل بيت العصمة والطهارة القائلين: «نحن النمرقة الوسطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي»[٢].

لأنهم يمثلون الإسلام قلباً وقالباً، مفهوماً ومصداقاً، يهدون

---

(١) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٩٤.

(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار: ١٠٩.

الخلق بالقول والعمل والسلوك فهم الخط الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، يجب أن يلحق بهم «التالي المفرط المقصر في الدين، ويرجع إليه الغالي المفرط المتجاوز في طلبه حد العدل»[١].

يقول ابن أبي الحديد: «إن كل فضيلة فإنها مجنحة بطرفين معدودين من الرذائل كما أوضحناه آنفاً، والمراد أن آل محمد عليهم السلام هم الأمر المتوسط بين الطرفين المذمومين، فكل من جاوزهم فالواجب أن يرجع إليهم، وكل من قصر عنهم فالواجب أن يلحق بهم»[٢].

فالوسطية في التصور والفكر والسلوك هي صمام الأمان من خطر الانحراف عن سبيل الرشاد، قال الشاعر:

وأوفِ ولا تستوفِ حقَّكَ كلَّه ... وصافح فلم يستوف قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كِلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها ... نجاةٌ ولا تركب ذلولاً ولا صعباً[٣]

---

(١) الشيخ الطريحي، مجمع البحرين ٥: ٢٤٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٧٣.

(٣) عبد الحسين الاميني، كتاب الغدير ٧: ٩٢.

وأدق بيان في أهمية الوسطية ما قاله الإمام علي عليه السلام: «إن دين الله بين المقصر والغالي فعليكم بالنمرقة الوسطى فبها يلحق المقصر، ويرجع إليها الغالي»[١] وأروع تعبير عن خطورة مفارقة الوسطية ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه اليومي في شهر شعبان:

«اللهم صل على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها، المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق»[٢].

فصورهم عليهم السلام بالسفينة التي تصارع الأمواج والناس ثلاث: متقدم عليهم مارق، ومتأخر عنهم زاهق، وملازم لهم لاحق وهو الوسط بين الإفراط والتفريط كما وصف الشاعر:

هم وسطٌ يرضى الأنام بحكمهم

إذا طرقت[٣] إحدى الليالي بمعظم[٤]

---

(١) عبد الحسين الاميني، كتاب الغدير ٧: ٩٢.

(٢) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد: ٤٥.

(٣) وفي بعض المصادر: (إذا نزلت).

(٤) الشيخ الطوسي، التبيان ٢: ٦، ومجمع البيان للطبرسي ١: ٤١٤.

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(البقرة: ١٤٣).

مواقف الأئمة الهداة من الغلو والغلاة :

لقد وقف أئمة الهدى من الغلاة مواقفاً حاسمة لكل ضلالاتهم فما تركوا لحظة إلا ونددوا بهم، وفضحوا أساليبهم، واتبعوا كل الوسائل للقضاء عليهم؛ وهاك بعض تلك الأساليب مقرونة بأحاديثهم الشريفة صلوات الله عليهم أجمعين .

١- اللعن لهم :

وهو من أقسى أساليب الطرد والإبعاد من الخير على سبيل السخط، وقيل الطرد والإبعاد من الله تعالى، كما في قوله تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (البقرة: ١٦١).

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (آل عمران:٨٧).

«وهو اللعن من الله، واللعن من كل لاعن، وقد كرر اللعن؛ لأن اللعن مختلف، فإنه من الله التبعيد من الرحمة والسعادة، ومن

اللاعنين سؤاله من الله، وقد أطلق اللعن منه، ومن اللاعنين، وأطلق اللاعنين، وهو يدل على توجيه كل اللعن من كل لاعن إليهم»[١].

وقد صب الأئمة الأطهار عليهم السلام اللعن على الغلاة صباً كما في يونس بن ظبيان. عن يونس، قال: «سمعت رجلاً من الطيارة[٢] يحدث أبا الحسن الرضا عليه السلام: عن يونس بن ظبيان، أنه قال: كنت في بعض الليالي، وأنا في الطواف، فإذا نداء من فوق رأسي: يا يونس إني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني، وأقم الصلاة لذكري فرفعت رأسي فإذا (ج)[٣].

فغضب أبو الحسن عليه السلام غضباً لم يملك نفسه ثم قال للرجل: أخرج عني لعنك الله، ولعن من حدثك، ولعن يونس بن ظبيان ألف لعنة يتبعها ألف لعنة كل لعنة منها تبلغك قعر جهنم، أشهد ما ناداه إلا شيطان، أما أن يونس مع أبي الخطاب في أشد العذاب مقرونان، وأصحابهما إلى ذلك الشيطان مع فرعون وآل فرعون في

---

(١) العلامة الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١: ٣٩٠.

(٢) فرقة من فرق الغلاة.

(٣) فإذا ج: (إذا) للمفاجأة، و (ج) كناية عن جبرئيل عليه السلام.

أشد العذاب، سمعت ذلك من أبي عليه السلام.

قال يونس: فقام الرجل من عنده فما بلغ الباب إلا عشر خطاً حتى صرع مغشياً عليه وقد قاء رجيعه وحُمل ميتاً»[١].

وعن يحيى الحلبي، عن أبيه عمران بن علي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه، ولعن من بقي منهم، ولعن الله من دخل قلبه رحمة لهم»[٢].

وعن علي بن مهزيار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول وقد ذُكر عنده أبو الخطاب: «لعن الله أبا الخطاب، ولعن أصحابه، ولعن الشاكين في لعنه، ولعن من قد وقف في ذلك وشك فيه»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فأشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك، وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشياً»[٤].

وقال عليه السلام: «لعن الله المغيرة بن سعيد أنه كان يكذب على

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٦٥٧-٦٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ٥٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ٨١٠-٨١١.

(٤) المصدر نفسه: ٥٨٥-٥٨٦.

أبي فأذاقه الله حر الحديد، لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا وبيده نواصينا»[١].

وقال عليه السلام: «فقال أبي: لعن الله المغيرة قد حلفت أن لا يدخل عليَّ أبداً. وذكرت أن رجلاً من أصحابه تكلم عندي ببعض الكلام؟ فقال هو: اشهد الله إن الذي حدثك لمن الكاذبين، واشهد الله إن المغيرة عند الله لمن المدحضين»[٢].

قال أبو جعفر محمد بن عيسى: ولقد لقيت محمداً رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا ربي! فقال: ما لك لعنك الله؟ ربي وربك الله، أما والله لكنت ما علمت لجباناً في الحرب، لئيماً في السلم»[٣].

وأحاديث اللعن على الغلاة كثيرة لا يمكن أن نحيط به في هذا المجال.

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٨٩.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩٣.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٩.

٢- إعلان البراءة منهم :

ولا نعرف أُسلوباً يقطع العصمة بين الناس، ويرفع الأمان عنهم ويخرج من عهودهم، وذممهم أشد من البراءة، حيث لا تبقي عيناً ولا أثراً بين المتبرِئ والمُتَبَرَّأ منه كما أعلن الله البراءة من الكافرين في سورة مفصلة في كتابه الكريم وقد أعلن الأئمة الهداة البراءة من الغلاة في مواقف كثيرة نذكر منها:

عن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد أبرأ ممن يزعم إنا أرباب قلت: بريء الله منه، قال: أبرأ ممن يزعم إنا أنبياء قلت: بريء الله منه»[١].

وحين بلغه عليه السلام أن بشاراً قال: قولاً عظيماً (يعني غالى فيهم) أرسل إليه رسولاً، وقال له: «إذا قدمت الكوفة فأته، وقل له: يقول لك جعفر: يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريء منك»[٢].

وعن محمد بن يعقوب، عن الحسن بن راشد، عن محمد بن بادية قال: «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في يونس؟ فكتب: لعنه

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ٧٠١.

الله، ولعن أصحابه، أو بريء الله منه، ومن أصحابه»[١].

وعن حنان بن سدير، عن أبيه، قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾

قال: يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء بَرِئَ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء على ديني ودين آبائي، والله لا يجمعني وإياهم يوم القيامة إلا وهو عليهم ساخط»[٢].

بل كان الإمام الرضا عليه السلام وهو في محرابه بين يدي الله يعلن البراءة من هؤلاء، ويقول في دعائه:

«اللهم إني بريء من الحول والقوة، ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم إني أعوذ بك، وأبرأ إليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق، ومنك الرزق، وإياك نعبد، وإياك نستعين، اللهم أنت

---

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٧٨٥.

(٢) المصدر نفسه: ٥٩٤.

خالقنا، وخالق آبائنا الأولين، وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلا بك، ولا تصلح الإلهية إلا لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك، والعن المضاهئين لقولهم من بريتك.

اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً، ولا ضراً ولا موتاً، ولا حياةً، ولا نشوراً. اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء ومن زعم أن إلينا الخلق، وعلينا الرزق، فنحن براء منه كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهم إنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدعون، ولا تدع على الأرض منهم دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً»[١].

وقال عليه السلام: «اللهم إني أبرأ إليك مما يدعيه فيَّ محمد بن بشير اللهم أرحني منه، اللهم إني أسألك أن تخلصني من هذا الرجس النجس محمد بن بشير، فقد شارك الشيطان أباه في رحم أمه. قال علي بن أبي حمزة: فما رأيت أحداً قتل بأسوأ قتلة من محمد بن بشير لعنه الله»[٢].

---

(١) المحدث المجلسي، بحار الأنوار ٢٥: ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣١٤.

٣- إظهار التأثر الشديد والحزن والبكاء :

حين يُنقل للإمام غلوهم، وتجاوزهم للحدود الإلهية كما ورد في حديث مصادف عن الإمام الصادق عليه السلام وحديث ابن بي عمير عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .

٤- إعلان حرمان الغلاة من شفاعة محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله :

ورد في الخصال مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه، قال: «رجلان لا تنالهما شفاعتي: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق»[1].

٥- التحذير منهم :

لقد كان الأئمة الأطهار عليهم السلام دائماً يحذرون شيعتهم من الغلاة ويؤكدون على وجوب النظر إلى كل مغال نظرة ريب وشك، وأن لا يطمئنوا إليهم بحال فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام : «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شر خلق الله، يصغرون عظمة الله، ويدعون الربوبية لعباد الله، والله إن الغلاة أشرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»[2].

---

(١) الشيخ الصدوق، الخصال: ٦٣.

(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي: ٩٢٢.

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال عليه السلام: «الغلاة كفار، والمفوضة مشركون من جالسهم، أوخالطهم، أوآكلهم، أوشاربهم، أو واصلهم، أو زوجهم، أو تزوج منهم، أو آمنهم، أو ائتمنهم على أمانة، أو صَدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت»[١].

٦- فضح أكاذيبهم وكشف مفاسدهم على رؤوس الملأ:

فقد روى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر الغلاة فقال: «إن فيهم من يكذب حتى أن الشيطان ليحتاج إلى كذبه»[٢].

وعن ابن أبي عمير، عن مرازم، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قل للغالية: توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون»[٣].

وفي حديث آخر قال عليه السلام: وقد ذُكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب، فقيل: «انه صار إلى نمرود، وقال فيهم:

---

(١) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٠٣.

(٢) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٧.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٨: ٥٦٦.

وهو الذي في السماء إله، وفي الأرض إله، قال: هو الإمام.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، هم شر من اليهود، والنصارى، والمجوس، والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيء قط، إن عزيراً جال في صدره ما قالت فيه اليهود فمحى الله اسمه من النبوة.

والله لو أن عيسى أقر بما قالت النصارى لأورثه الله صمماً إلى يوم القيامة، والله لو أقررتُ بما يقول فيَّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء ضر ولا نفع»[1].

٧- الأمر بقتل بعض الغلاة :

كما أمر الإمام العسكري عليه السلام بقتل فارس بن حاتم فقد روي: عن محمد بن عيسى بن عبيد، أن أبا الحسن عليه السلام أهدر (دم) فارس بن حاتم، وضمن لمن يقتله الجنة فقتله جنيد، وكان فارس فتاناً يفتن الناس، ويدعوهم إلى البدعة فخرج من أبي الحسن عليه السلام: «هذا فارس [لعنه الله] يعمل من قبلي فتاناً داعياً إلى البدعة، ودمه هدر لكل من قتله، فمن هو الذي يريحني منه ويقتله، وأنا ضامن له

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٩-٥٩٠.

على الله الجنة»[١].

يروي لنا قاتله الجنيد فيقول: «أرسل إليَّ أبو الحسن العسكري عليه السلام يأمرني بقتل فارس بن حاتم القزويني لعنه الله، فقلت لأخي: أسمعته منه يقول لي ذلك يشافهني به، قال: فبعث إليَّ فدعاني فصرت إليه، فقال: آمرك بقتل فارس بن حاتم.

فناولني دراهم من عنده، وقال: اشترِ بهذه سلاحاً فاعرضه عليَّ، فاشتريتُ سيفاً فعرضته عليه، فقال: رد هذا وخذ غيره، قال: فرددته وآخذت مكانه ساطوراً فعرضته عليه، فقال: هذا نعم، فجئت إلى فارس، وقد خرج من المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء فضربت على رأسه فصرعته فثنيت عليه فسقط ميتاً ووقعت الصيحة فرميت الساطور من يدي، واجتمع الناس، واخذوا يدورون إذ لم يوجد هناك أحد غيري فلم يروا معي سلاحاً، ولا سكيناً، وطلبوا الزقاق والدور فلم يجدوا شيئاً، ولم يروا أثر الساطور بعد ذلك»[٢].

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٨: ٥٤٢.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ١٨: ٥٤٢، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٥١٩، ومدينة المعاجز لهاشم البحراني ٧: ٥٠٨-٥٠٩، وبحار الأنوار للمجلسي ٥٠: ٢٠٥، واختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ٢: ٨٠٧-٨٠٨، ومعجم رجال ☜

بهذه المواقف الحاسمة تعامل الأئمة الهداة مع الغلاة، فهل لأحد بعد هذا أن يفتري على الشيعة ويتهمهم بالغلو؟

كما تعاملوا بطريقة أخرى حيث أمروا أصحابهم بضرب رؤوس الغلاة بالحجر لشدخها فيقول سعد: حدثني العبيدي قال: كتب إليَّ العسكري ابتداءاً منه: «أبرأ إلى الله من الفهري، والحسن بن محمد بن بابا القمي، فأبرأ منهما، فإني محذرك، وجميع موالي وأني ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتانين مؤذيين آذاهما الله، وأركسهما في الفتنة ركْساً. يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنه باب عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قَبِلَ منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل فانه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة»[1].

هذه بعض الأساليب التي اتبعها الأئمة الطاهرون عليهم السلام في مقاومة هؤلاء الغلاة الذين دسوا أنفسهم بالإسلام كذباً وزوراً ليفسدوا عقائده ومفاهيمه وأحكامه من داخله وهي طريقة يهودية

الحديث للسيد الخوئي ١٣: ٢٤٠-٢٤١.

(١) الشيخ الطوسي، اختيار معرفة الرجال ٢: ٨٠٥.

قديمة اتبعها أعداء الإسلام منذ أن عجزوا عن مقاومته بالعقل والمنطق السليم، ولا زالوا إلى اليوم يحشدون فلولهم المهزومة ويبعثون أكاذيب أسلافهم من الروايات الإسرائيلية، وترهات الغلاة الذين انقرضوا، ولم يبق منهم إلا مسميات لفرق هزيلة ولدت ولادة ميتة، ولكن المؤسف المحزن أن يستغل أعداء الإسلام هذه الأباطيل؛ ليطعنوا التشيع، ويرموا دعاته بالغلو مع أن كل باحث منصف إذا سرح نظره ولو بنظرة سريعة عرف أن التشيع والغلو نقيضان لا يلتقيان بحال. والأعجب من ذلك أن ينسب الغلو إلى طبيعة الإنسان المتدين، بل إلى ذات التدين فقد اعتبر الدكتور كامل مصطفى الشيبي: «أن الغلو طبيعة مركبة في الإنسان المتدين في كل زمان ومكان؛ لأن طبيعة التدين الإيمان بالخوارق والمعجزات، وفي حد ذاته غلو في الأنبياء»[1].

ولا أدرى من أين جاء بهذه الفرية؟ هل استوحاها من (ماسنيون) أم من غيره؟! مع أنه يعيش في المجتمع الإسلامي مع وفرة مصادره لديه، ولو لم يكن قد اطلع على أي مصدر فلا نصدق

(١) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التشيع والتصوف ١٣١.

أن كاتباً يكتب عن الغلو ولا يمر بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ (النساء:١٧١).

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة:٧٧).

ثم راح يعدد صوراً من الغلو فاستشهد بموقف عمر في إنكاره وفاة النبي ﷺ واعتبر هذا نوع من الغلو! وفات الكاتب المحترم اللعبة السياسية التي لعبها الخليفة؛ ليشغل الناس بها ريثما يتم ترتيب الأمر مع صاحبه الذي ينتظره؛ ليصادر موقع الخلافة من أهلها الشرعيين وإلا هل من عاقل يتصور أن عمر نسي أن النبي بشر وأن الله قال له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠).

وضرب مثلاً ثانياً للغلو هو موقف الهمج الرعاع الذين التفوا حول جمل أم المؤمنين عائشة. الذين راحوا يَفْتون بعر جملها

ويشمونه، ويقولون: «بعر جمل أمنا ريحه ريح مسك» وهل هذا هو الغلو؟ أم الغلو الذي قصده الشيخ المفيد، وهو: «التجاوز عن الحد والخروج عن القصد»؟ والشيخ قدس سره نفى الإسلام عن الغلاة ووصفهم من المتظاهرين بالإسلام الذين لا يمتون إليه بصلة لأنهم «نَسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلال كفار»[1].

ويبدو أن الكاتب المحترم يجهل حقيقة الدين الإلهي أو يتجاهله فراح يسند آرائه بآراء طه حسين، وعلي الوردي الذَيْن فهما الدين من تصورات أعدائه لا من أئمته وحملته، والأعجب أن يعتبر التدين غلواً والمعجزات التي جرت على أيدي الأنبياء غلواً أيضاً. ثم ناقض نفسه، فقال: «ولقد كان من أهم ما يميز الإسلام عن الأديان التي سبقته والمذاهب التي تلته أنه أكد في كثير من آياته على بشرية محمد صلى الله عليه وآله وقصر معجزته على النص القرآني الذي هو كلام الله بنقل محمد»[2] وكلامه هذا يتناقض مع ما تقدم

(١) الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد: ٢٣٨.

(٢) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع: ١٣١.

حيث اعتبر «الإيمان بالخوارق والمعجزات غلواً» مع أن القرآن الكريم ذكر الكثير من المعجزات كعصا موسى عليه السلام وانفلاق البحر له ومروره فيه وانشقاق القمر و ... الخ.

كما ذكر الشيبي نقلاً عن (ماسنيون)[1] عن كتاب نفس الرحمن للطبرسي رواية أراد أن يثبت بها صلة أبي الخطاب المغالي الملعون الذي لعنه الإمام، وتبرأ منه، وقد مر الشيبي على هذه الرواية مرور الكرام، ولم يؤكد تكذيب الإمام الصادق عليه السلام له وإنما ذكرها بصيغة توحي بعدم التكذيب، حيث يقول: «ويذكر أنه عرض على الصادق فكذبه» ويتناسى الأخبار الكثيرة التي وردت في تكذيب أبي الخطاب و لَعْنه كما تقدم قبل قليل في هذا البحث.

(١) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع: ١٧٤.

حكم الغلاة عند الشيعة الإمامية :

الغلاة عند الشيعة الإمامية خارجون من الإسلام اسماً ومعنىً وذِكْرِهم من فرق المسلمين تجوزاً[١].

وإن انتحلوه[٢]، وأقروا بالشهادة [٣]. فهم ليس من الإسلام في شيء؛ «إما لأنهم يجحدون الإسلام من الأساس... وإما لأنهم ينكرون ما ثبت بضرورة الدين، كالنواصب والخوارج»[٤].

وبناءاً على ذلك حكموا بنجاستهم وكفرهم[٥].

وقالوا: «لا إشكال في نجاسة الغلاة»[٦].

وقال السيد محسن الحكيم قدس سره في تعليقه على عبارة صاحب

---

(١) العلامة الحلي رحمه الله، منتهى المطلب ١: ١٥٢، وروض الجنان للشهيد الثاني رحمه الله: ١٥٧.

(٢) المحقق الحلي رحمه الله، المعتبر ١: ٩٨.

(٣) العلامة الحلي رحمه الله، منتهى المطلب ١: ١٥٢.

(٤) محمد جواد مغنية رحمه الله، الشيعة في الميزان: ١١٦.

(٥) السيد محمد رضا الگلپايگاني رحمه الله، مختصر الأحكام: ٩.

(٦) السيد محمد كاظم اليزدي، العروة الوثقى ١: ٦٨، باب النجاسات، باب الكافر وأقسامه، المسألة: ٢.

العروة الوثقى: «بلا كلام - كما عن جامع المقاصد - وعن ظاهر جماعة، وصريح روض الجنان، والدلائل، الإجماع عليه... لو أريد منهم من يعتقد الربوبية لأمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام »[١].

وقال السيد الخوئي قدس سره في تعليقه على نفس العبارة: «وهذه النسبة لو صحت وثبت اعتقادهم بذلك، فلا إشكال في نجاستهم وكفرهم لأنه إنكار لألوهيته تعالى لبداهة أنه لا فرق في إنكارها بين دعوى ثبوتها لزيد، أو للأصنام، وبين دعوى ثبوتها لأمير المؤمنين عليه السلام »[٢].

وقال صاحب الجواهر رحمه الله: «إلا أنه على كل حال لا كلام في نجاستهم وكفرهم كما في جامع المقاصد، وعن الدلائل، بل عن الأخير والروض الإجماع عليه، قلت: وهو كذلك، بل يدل عليه جميع ما دل على نجاسة الكافر»[٣].

---

(١) السيد الحكيم، مستمسك العروة الوثقى ١: ٣٨٦.

(٢) السيد الخوئي رحمه الله، التنقيح في شرح العروة الوثقى ٣: ٧٣.

(٣) الشيخ الجواهري، جواهر الكلام ٦: ٥١.

كما حكموا بعدم جواز تغسيل ودفن موتاهم[١]، وعلى تحريم إعطائهم الزكاة، وعلى انه لا يحل للغالي أن يتزوج المسلمة، ولا للمسلم أن يتزوج الغالية. كما أجمعوا أيضاً على أن المسلمين يتوارثون، وإن اختلفوا في المذاهب والأصول والعقائد. قالوا:

«يرث المحق من المسلمين من مبطلهم، ومبطلهم من محقهم ومبطلهم، إلا الغلاة يرث منهم المسلمون، وهم لا يرثون من المسلمين»[٢].

وقالوا: «تحل ذبيحة جميع فرق الإسلام عدى النواصب المحكوم بكفرهم... وكذا غيرهم من المنتحلين للإسلام المحكوم بكفرهم، مثل الغلاة والخوارج وغيرهم»[٣].

وهكذا الأحكام في ذلك كثيرة لا نريد أن نستطرد فيها، وإنما

---

(١) الشيخ الجواهري، جواهر الكلام ٤: ٨٠.

(٢) الشيخ الوائلي، هوية التشيع: ١٦٥، والشيعة في الميزان لمحمد جواد مغنية: ٢٩٢، وجواهر الكلام للشيخ الجواهري ٣٩: ٢٣، وتحرير الوسيلة ٢: ٣٦٦، وبلغة الفقيه ٤: ١٩٥، وتحرير الأحكام للعلامة الحلي ﷺ ٢: ١٧١، وتوضيح المسائل، للشيخ محمد تقي بهجت: ٥٣٣.

(٣) السيد محمد رضا الگلپايگاني ﷺ، هداية العباد ٢: ٢١٧.

ذكرنا زبدة ذلك والتفصيل في المصادر الفقهية فراجع، أفبعد هذه الأحكام القاطعة من أعاظم فقهاء الشيعة المتقدمين والمتأخرين بنجاسة وكفر الغلاة والبراءة منهم إلى حد أنهم لم يجوزوا أكل ذبيحتهم، ودفن موتاهم، وتزوج نسائهم، وعدم إرثهم أو توريثهم يمكن لمنصف أن يقول أن الشيعة غلاة ؟!!!

«وعلى أي الأحوال فإن للغلاة دينهم الخاص، وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة، وما زال كثير من الكُتّاب ينسب جهلاً أو تنكيلاً عقيدة الغلاة إلى جميع فرق الشيعة حتى الإمامية مع أن الإمامية قد استدلوا في كتب العقائد والأصول على كفر الغلاة، ووجوب البراءة منهم ومن كل ما فيه شائبة الغلو»[1]. انتهى .

٧ ربيع الثاني ١٤٢٣ هـ / قم المقدسة

(١) محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان: ٢٩١-٢٩٢.

المصادر :

(أ)

الأربعين.....الماحوزي

أوائل المقالات .....الشيخ المفيد

اختيار معرفة الرجال.....الشيخ الطوسي

أصول العقائد في الإسلام.....السيد مجتبى الموسوي اللاري

الأصول الأصلية..... الفيض الكاشاني

الأصول من الكافي .....الشيخ الكليني

الأمالي.....الشيخ الطوسي

الإمام جعفر الصادق عليه السلام..... عبد الحليم الجندي

الإصابة .....ابن حجر

الإرشاد .....الشيخ المفيد

الاحتجاج .....الشيخ الطبرسي
الاستذكار .....ابن عبد البر
امتاع الأسماع.....المقريزي
الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة .....السيد عبد الله شبر
الإختصاص .....الشيخ المفيد

(ب)

بحار الأنوار ..... العلامة محمد باقر المجلسي
البداية والنهاية .....ابن كثير
البدء والتاريخ ..... العلامة المطهر بن طاهر المقدسي
بُلغة الفقيه..... السيد محمد بحر العلوم
بحوث في شرح العروة الوثقى ..... السيد محمد باقر الصدر

(ت)

تاريخ الخلفاء .....جلال الدين السيوطي
تاريخ الإسلام .....الذهبي
تاريخ الأمم والملوك..... الطبري
التاريخ الكبير.....البخاري
تاريخ مدينة دمشق .....ابن عساكر
تاريخ اليعقوبي ..... اليعقوبي

التبيان في تفسير القرآن .....الشيخ الطوسي
تحف العقول ..... ابن شعبة الحرّاني
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي..... الإمام المباركفوري
ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق.....
.....محمد باقر المحمودي
التحفة السنية (مخطوط) .....السيد عبد الله الجزائري
تصحيح الاعتقاد .....الشيخ المفيد
تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ..... الآمدي
تفسير العياشي ..... محمد بن مسعود العياشي
تفسير نور الثقلين ..... الشيخ الحويزي
تقريرات الحدود والتعزيرات.....
.....من تقريرات لبحث السيد محمد رضا الگلپايگاني
تقوية الإيمان ..... محمد بن عقيل
التنقيح في شرح العروة الوثقى..... السيد الخوئي
التوحيد.....الشيخ الصدوق
تهذيب التهذيب .....ابن حجر
تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ..... القاضي أبي بكر الباقلاني
تحرير الوسيلة ..... الإمام الخميني

تحرير الأحكام ..... العلامة الحلي
توضيح المسائل..... الشيخ محمد تقي بهجت

(ث)

الثاقب في المناقب ..... ابن حمزة الطوسي
الثقات ..... ابن حبان

(ج)

جوابات أهل الموصل ..... الشيخ المفيد
جواهر الكلام ..... الشيخ محمد حسن الجواهري
جهان بيني إسلامي (فارسي)..... الشيخ الشهيد مرتضى مطهري
الجامع الصغير ..... جلال الدين السيوطي
جامع أحاديث الشيعة ..... السيد البروجردي

(ح)

الحدائق الناضرة..... المحقق يوسف البحراني
الحرب النفسية في الوطن العربي..... د. حامد ربيع
حلية الأبرار ..... السيد هاشم البحراني
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء..... أبو الفرج الأصفهاني

(خ)

خاتمة مستدرك الوسائل ..... الميرزا النوري

خصائص الوحي المبين.....الحافظ بن البطريق
الخصال .....الشيخ الصدوق
خلاصة عبقات الأنوار .....السيد حامد النقوي

(د)

دراسات في الحديث والمحدثين.....السيد هاشم معروف الحسني
دراسات في علم الدراية .....علي أكبر الغفاري
الدر المنثور في تفسير كتاب الله المأثور .....جلال الدين السيوطي
دعائم الإسلام ..... القاضي النعمان المغربي

(ر)

روح المعاني.....الآلوسي
روض الجنان..... الشهيد الثاني
روضة الواعظين .....الفتال النيسابوري
رسالة في المهر .....الشيخ المفيد
روض الرياحين ..... العبيدي المالكي
الرياض النضرة .....المحب الطبري

(ز)

الزينة ..... أبي حاتم السجستاني

(س)

سبل الهدى والرشاد.....الصالحي الشامي
السرائر..... ابن إدريس الحلي
سماء المقال في علم الرجال .....أبو الهدى الكلباسي
سنن ابن ماجة .....محمد بن يزيد القزويني
السنن الكبرى .....البيهقي
سنن النبي ﷺ.....العلامة محمد حسين الطباطبائي
سير أعلام النبلاء .....الذهبي
السنن الكبرى .....النسائي
السيرة الحلبية .....الحلبي

(ش)

شرح إحقاق الحق ..... السيد المرعشي
شرح أصول الكافي .....المولى محمد صالح المازندراني
شرح على المائة كلمة لأمير المؤمنين عليه السلام..... ابن ميثم البحراني
شرح نهج البلاغة..... ابن أبي الحديد المعتزلي
شواهد التنزيل .....الحاكم الحسكاني
الشيعة في الميزان.....محمد جواد مغنية
شرح المواقف .....القاضي الجرجاني

الشفا بتعريف حقوق المصطفى .....القاضي عياض

(ص)

صحيح بن حبان .....بترتيب ابن بلبان

صفات الشيعة .....الشيخ الصدوق

الصلة بين التشيع والتصوف .....د. كامل مصطفى الشيبي

الصواعق المحرقة .....ابن حجر

(ط)

طرائف المقال في معرفة علم الرجال .....السيد علي أصغر البروجردي

الطبقات الكبرى.....محمد ابن سعد

الطهارة .....الإمام الخميني

(ع)

عبد الله بن سبأ .....السيد مرتضى العسكري

العثمانية .....الجاحظ

عدة الأصول .....الشيخ الطوسي

العروة الوثقى .....السيد محمد كاظم اليزدي

علماء الشيعة والصراع مع البدع والخرافات.....الشيخ محمد الخالصي

عيون أخبار الرضا عليه السلام.....الشيخ الصدوق

عمدة التحقيق.....العبيدي المالكي

(غ)

الغارات .....إبراهيم بن محمد الثقفي
الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ..... د. عبد الله سلوم السامرائي
غريب الحديث..... ابن سلام
غاية المرام.....علي بن أبي علي الآمدي

(ف)

الفائق في غريب الحديث.....جار الله الزمخشري
الفتاوى الواضحة ..... السيد محمد باقر الصدر
فتح الباري في شرح صحيح البخاري..... ابن حجر العسقلاني
فتح القدير ..... محمد الشوكاني
فرق الشيعة.....النوبختي
فضائل الصحابة ..... النسائي
الفهرست .....الشيخ الطوسي
فيض القدير شرح الجامع الصغير .....محمد المناوي
فلك النجاة في الإمامة والصلاة..... علي محمد فتح الدين الحنفي

(ق)

قرب الإسناد .....الحميَري القمي
القواعد الفقهية..... السيد البجنوردي

(ك)

الكامل ..... عبد الله بن عدي
كرامات أولياء الله ﷻ .....هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي
كشف الغطاء ..... الشيخ جعفر كاشف الغطاء
كشف اليقين..... العلامة الحلي
كمال الدين وتمام النعمة .....الشيخ الصدوق
كليات في علم الرجال.....الشيخ جعفر السبحاني
كنز العمال ..... المتقي الهندي

(ل)

لسان العرب.....ابن منظور
لسان الميزان.....ابن حجر

(م)

المبسوط.....السرخسي
مجمع البحرين ..... الشيخ الطريحي
مجلة المنار..... محمد رشيد رضا
مجمع البيان في تفسير القرآن.....الشيخ الطبرسي
مجمع الزوائد ..... ابن حجر الهيثمي
مختصر الأحكام .....السيد محمد رضا الگلپايگاني

مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر.....ابن منظور
مختلف الشيعة ..... العلامة الحلي
مرآة الجنان.....اليافعي
المستدرك .....الحاكم النيسابوري
مستمسك العروة الوثقى .....السيد محسن الحكيم
المسح على الرجلين.....الشيخ المفيد
مسند أحمد.....الإمام أحمد بن حنبل
مسند زيد..... زيد بن علي عليه السلام
مسند أبي داود..... أبي داود الطيالسي
مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر.....عبد الرحمن بن معلا اللويحق
مصباح المتهجد وسلاح المتعبد .....الشيخ الطوسي
معالم الفتن .....سعيد أيوب
المعتبر.....المحقق الحلي
المعجم الأوسط.....الحافظ الطبراني
المعجم الصغير..... ..الحافظ الطبراني
معجم رجال الحديث..... السيد الخوئي
مناقب آل أبي طالب.....ابن شهر آشوب
مناقب أحمد .....ابن الجوزي

منتهى المطلب ..... العلامة الحلي
منح المنة ..... الشعراني
من لا يحضره الفقيه ..... الشيخ الصدوق
موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ..... مؤسسة التبليغات الإسلامية
الموفقيات ..... الزبير بن بكار
ميزان الاعتدال ..... الذهبي
ميزان الحكمة ..... محمد الريشهري
الميزان في تفسير القرآن ..... العلامة محمد حسين الطباطبائي
معجم مقاييس اللغة ..... أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا
موسوعة الغدير ..... الشيخ عبد الحسين الأميني
المواقف ..... الإيجي
المصنف ..... ابن أبي شيبة الكوفي
المصنف ..... عبد الرزاق الصنعاني
مسند البزار ..... البزار
الملل والنحل ..... الشهرستاني
مروج الذهب ..... المسعودي
مدينة المعاجز ..... هاشم البحراني
المزار ..... محمد بن المشهدي

(ن)

نتائج الأفكار.....السيد محمد رضا الگلپايگاني

نزهة الناظر وتنبيه الخاطر.....الحلواني

نظرات في الإعداد الروحي..... الشهيد الشيخ حسين معن

نور البراهين..... نعمة الله الجزائري

نهج البلاغة.....الشريف الرضي

نقض الوشيعة (الشيعة بين الحقائق والأوهام)..... السيد الأمين

نظم درر السمطين..... جمال الدين الزرندي الحنفي

نزهة المجالس.....الحلواني

النهاية في غريب الحديث والأثر..... ابن الأثير

(هـ)

هوية التشيع.....الشيخ الدكتور أحمد الوائلي

هداية العباد.....السيد محمد رضا الگلپايگاني

(و)

وسائل الشيعة..... الحر العاملي

وضوء النبي.....السيد علي الشهرستاني

(ي)

ينابيع المودة لذوي القربى.....القندوزي الحنفي

المحتويات:

المقدمة..... ٧

الفصل الأول (سيماء الشيعة) ١٣

الشيعة لغة واصطلاحاً..... ١٥

مراتب التشيع ٢٢

١. الحب ٢٣

طبقات المحبين..... ٣٢

المتسترون بحب أهل البيت عليهم السلام ٣٩

٢. الولاء ٤٢

٣. التشيع..... ٥٠

أ. محور العلاقة مع الله تعالى..... ٥٠

عقيدة الشيعة بالله تعالى ٥٣
صفاتهم النفسية والأخلاقية ٥٥
ب. محور العلاقة فيما بينهم ٥٧
ج. محور علاقتهم بالآخرين ممن على غير مذهبهم ٦٠

الفصل الثاني (تعريف الغلو)..... ٦٥
معنى الغلو في كلمات فقهاء أهل البيت عليهم السلام ٧١
معنى الغيب ٩١
أمِن الغلو ذكر الفضائل؟ ١٠٤

الفصل الثالث (أسباب الغلو) ١٢٥
١. المحور السياسي ١٣١
٢. المحور الفكري ١٤٤
٣. المصالح الذاتية..والأطماع الدنيوية ١٥٥
أولاً: الهبوط الفكري والفساد العقائدي ١٥٥
ثانياً: ردود الفعل غير الواعية..... ١٥٦
ثالثاً: عدم فهم الإسلام فهماً سليماً ودقيقاً..... ١٥٧
رابعاً: أمراض القلوب ١٦٠

الفصل الرابع (صمامات أمان من الغلو)..... ١٦٣

تقرير بشرية الأنبياء والمرسلين وعبوديتهم لله تعالى.....١٦٨

الوسطية في الإسلام.....١٨٥

مواقف الأئمة الهداة من الغلو والغلاة ١٩٢

١. اللعن لهم.....١٩٢

٢. إعلان البراءة منهم ١٩٦

٣. إظهار التأثر الشديد والحزن والبكاء.....١٩٩

٤. إعلان حرمان الغلاة من شفاعة محمد وآل محمد ﷺ.....١٩٩

٥. التحذير منهم ١٩٩

٦. فضح أكاذيبهم وكشف مفاسدهم على رؤوس الملأ.....٢٠٠

٧. الأمر بقتل بعض الغلاة.....٢٠١

حكم الغلاة عند الشيعة الإمامية ٢٠٨

المصادر.....٢١٣

المحتويات ٢٢٥